

روايات عبير

آن هامبسون

# جرح الغزالة

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DARK HILLS RISING



المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

*Printed in Great Britain by*
*Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk*

# ١- طلب مفاجيء

انزلقت بجعتان رشيقتان على صفحة البحيرة، فيما اصطف عند ضفتها سرب من البط والاوز يسوي ريشه بمناقيره تحت اشعة شمس شباط. وبسبب ارتفاع الحرارة غير المألوف في هذا الفصل، خرج عمال المكتب والمتجر الى المتنزه يتجولون حول ضفاف البحيرة، او يجلسون على التلال المعشوشبة قرب أزهار اللبن الثلجية والزعفران.

وجلست غايل في فرصة الغداء، ومدتها ساعة، على مقعد طويل تحضن كتاباً لم تفتحه. وخلال الدقائق العشرين الماضية استمتعت بالهواء المنعش والازهار وتغريد العصافير. لكنها سرعان ما تجمّدت اذ رأت طفلين يعبران الممر قفزاً وقد لحق بهما والداهما. هل يسعها الانصراف بدون ان يراها احد؟ كلا. فالاشجار العارية لا توفر لها غطاء او مظلة. لذا اضطرت ان تلزم مقعدها وقد رجت الله الا يراها احد.

ورفعت ابنة الرابعة وجهها الجميل لتسأل والدها الذي ابتسم لها:

«هل نستطيع اطعام البجعتين يا ابي؟».

أعطاها والدها كسرة خبز فاخذها شقيقها، الذي يكبرها بثلاث سنوات، وقال:

«اريد مزيداً من الخبز».

أما والدتهما، وهي شابة عادية المظهر تبلغ التاسعة والعشرين من العمر، فقد وقفت بجانب عربة اطفال تراقب ولديها وتحذرهما:

«لا تقتربا كثيراً من حافة البحيرة».

وغرق الجميع في ضحك ومسامرة، بينما رقد الصبي، الذي ولد قبل

ستة اسابيع، في عربته بسلام.

وركزت غابل عينيها على الرجل. انه الآن في الثالثة والثلاثين من عمره. وسيبلغ الرابعة والثلاثين في العاشر من تموز...

انقضت تسع سنوات على الحادث. ورغم ان غابل شعرت بالمرارة كلما تذكرته، فالحنين اشرق من عينيها البنيتين الجميلتين، وعصر اليأس قلبها لدى رؤية الاطفال الابرياء الذين كان يمكن ان يغدوا اطفالها لو شاء القدر.

ذعرت غابل اذ فطنت أنّ المرأة لمحتها، وتحدّثت عنها الى زوجها، الذي استدار نحوها. فنهضت وسارت نحو حافة البحيرة مسمّرة عينيها على الطفلة الملحة في طلب مزيد من الخبز.

«كيف حالك يا غابل؟ لم ارك منذ زمن بعيد».

«بخير يا مايكل».

ثم ابتسمت بلطف لجون، وهي تهز رأسها. اما مايكل، فحدّق بها وتأمل ملامحها الدقيقة ونضارة جلدها الصافي، وأهدابها السوداء الطويلة التي طالما اطرى على حسنها. ورأى شعرها الكستنائي اللماع، فتنته خصلة مجعدة منه سترت صدغها. وقال مايكل باندفاع عقد له جبين زوجته قليلاً:

«ارى انك لم تكبري يوماً واحداً. متى التقينا للمرة الاخيرة؟».

علا شفتي غابل طيف ابتسامة. ومع انها عرفت التاريخ بالضبط، فقد قالت:

«منذ سنوات عدة. حين لم يكن قد ولد لك سوى داريل».

وخفضت غابل ناظريها مبتسمة. فيما رفع الصبي رأسه لدى ذكر اسمه. وتحرك الطفل في نومه. فانحنت غابل فوق العربة تسأل:

«ما اسمه؟».

لم تخف جون دهشتها عندما ردت:

«يبدو انك عرفت اننا رزقنا بمولود ذكر».

طرفت عينا غابل:

«قرأت الخبر في الصحيفة».

«اسميناه وليم تيمنا بوالد مايكل».



«سيفرحه الأمر كثيراً».

كانت غابل على وفاق مع والد مايكل، السيد وليم بانكفوت، الذي قال لها ان ابنه اوفر الرجال حظاً واسعدهم على الاطلاق. وقد انزعج كثيراً للقطيعة بينهما، وساءت بالتالي علاقته بابنه فترة طويلة.

هنا جذبت تريسيا كمّ والدها قائلة:

«أريد مزيداً من الخبز يا ابي. فالبجعتان تبتعدان. اسرع».

ثم نظرت غابل الى ساعتها وقالت:

«علي ان اذهب، والاّ تأخرت».

سألت جون بتهذيب:

«هل ما زلت تعملين في المكتب ذاته؟».

«أجل».

واستدارت غابل نحو مايكل لتخاطبه بارتباك:

«حسناً يا مايكل. الوداع الآن».

«الوداع يا غابل».

عاشت غابل بعد مقابلة خطيبها السابق حالة قلق دامت طوال ما بعد الظهر، والى حين عودتها عند السادسة والنصف الى البيت الذي عاشت فيه منذ وفاة والدتها مع شقيقتها بيث وصهرها هارفي. وفور دخولها البيت، حيّاها ابن شقيقتها وابنتها تحيتهما المألوفة:

«مساء الخير يا خالة غابل».

طبعت غابل على خد كل من الصغيرين قبلة وهي تقول:

«مرحباً يا حبيبي».

ثم استمعت غابل منهما الى اخبار اليوم. فاعلن طوماس بفخر:

«اليوم اصبحت عضواً في فريق كرة القدم. وانا اصغر اللاعبين فيه على الاطلاق وذلك لاني لم ابلغ الحادية عشرة بعد».

«هذا عظيم يا طوماس. لكني كنت اعرف انك ستنتدب لهذا العمل».

ونزعت معطفها، وحملته على ذراعها:

«وماذا عنك يا ماريلين؟».

«انا المشرفة الجديدة في وقت تأمين وجبة الحليب».

عقب شقيقها باحتقار:

«عمل بسيط. ليس من الفخر بشيء مراقبة هؤلاء الصغار».
وافقته امه من المطبخ:
«اني اشاطرك الرأي يا طوماس. فانا بكل تأكيد لا ارغب بالحصول على وظيفة تقديم زجاجات الحليب لأربعين طفلاً قاصرين».
عبست ماريلين:
«انك شديدة القسوة يا اماه. فنحن لسنا اطفالاً عاجزين وانما اولاد مهذبون حسنو المعشر».
دخلت بيث ضاحكة وهي تحمل الصينية:
«هذه وجهة نظر».
ثم وضعت الصينية على الطاولة وامرت ولديها بالانصراف:
«نريد ان نشرب الشاي بسلام».
ولما جلست غايل قبالة بيث، اخبرتها:
«اليوم رأيت مايكل وجون. لقد رزقا طفلاً جديداً اسمياه وليم تيمناً بوالد مايكل».
«رائع!».
لماذا تكلمت، ولم تحافظ على صمتها؟ فها هو لون بيث يتغيّر ومع ذلك، حاولت السيطرة على اعصابها ولم تقل سوى:
«اعرف يا غايل انك تفتتنين بالاولاد. ولكن، انسي مايكل واولاده لانك جميلة، وعاجلاً ام آجلاً سوف....».
رفعت غايل حاجبيها:
«هل انا جميلة على رغم كل هذه الجراح؟».
«جميع جراحك باستثناء واحد منها وكلها مغطاة ولا ترى. وفي اي حال، بوسعك ان تزيليها لأن الجراحة تقدمت كثيراً في السنوات التسع المنصرمة».
هذا صحيح. الا ان قدرة الجراحة على ازالة التشوهات من جسمها، لا تعني قدرتها على معالجة ما احدثه مايكل عندما صدم السيارة. وعادت بيث تردد:
«انت جميلة وذكية. وستتزوجين على رغم كل ما يصدر عنك من معارضة. وثقي ان من سيتزوجك، سيتزوجك لذاتك فقط».



وذكّرتها غايل بمرارة:
«اني في الثامنة والعشرين من عمري. وبعد، من هو الذي يريد الزواج بامرأة عاقر؟».
اكفهرّ وجه بيث فوراً:
«لا تتلفظي بهذه الكلمة».
«هل هناك كلمة أفضل منها؟».
اكتنفت كلمات غايل برودة اخفت مشاعرها. الا انّ افكارها دارت حول اولاد مايكل، وقد فاض بها الحنين. فهي تتأثر برغبات أية امرأة طبيعية، وتتوق الى كمال انوثتها الذي توفره الامومة وحدها. ولم يغب عن ذهنها، ولو للحظة، الشعور المخيف بالخسارة الجسيمة، والحكم المبرم الذي اصدره الطبيب بشأن عقمها. وقالت:
«كلا يا بيث. لا يوجد بصيص امل واحد بزواجي».
انفجرت بيث:
[illegible] مايكل بانكفوت هذا بخدش واحد؟ [illegible] لم يشوّه، ويتحوّل معاقاً مدى حياته؟».
قاطعتها غايل وقد صدمت:
«بيث!».
«أنا اعرف اني حقودة. ولكن، انت اختي. وهذا لا يعني لي شيئاً، خصوصاً بعد هجره لك لعدم قدرتك على انجاب الاولاد، علماً بانه هو الذي يتحمّل مسؤولية وضعك هذا».
«انه يهوى الاولاد حتى [illegible] و...».
«وانت كذلك. الا انه تصرّف بمنتهى الخبث والانانية تجاهك. وما يزيدني غيظاً وحنقاً، انّ [illegible] تسير [illegible] فيما انت...».
وصمتت اذ سمعت هدير سيارة زوجها تجتاز الممر المؤدي الى المنزل. ثم اضافت:
«ستجدين زوجاً افضل من مايكل بانكفوت بكثير».
«ساحذر اي رجل تماماً كما حذرت جيري لايتون».
عقبت بيث:
«ان جيري لطيف. لكنك تسرّعت في اطلاعه على الامر».

«لا اوافقك في ذلك».

«كان بوسعك ان تنتظري حتى يقع في هواك حقاً. لكنك اخبرته بعد تعارفكما بشهر واحد».

«لأني كنت مطلعة على مجرى الامور. فحبنا اخذ يتعمق ويزداد. عندئذ وجدت لزاماً عليّ ان اخبره من اجلنا نحن الاثنين. ولولا انه لم يكترث للأمر، لبلغت علاقتنا نهايتها المرجوة. بيد انه اهتم بانجاب الاولاد لرغبته في انشاء اسرة. وهذا امر طبيعي. وهكذا وقعت القطيعة قبل ان يحب احدنا الآخر حباً يجرحه جرحاً بليغاً في حال كبته. ولذا شكرني على صدقي وامانتي. وانا ادرك اني فعلت خيراً اذ اخبرته آنذاك».

اجبرت بيث على الموافقة:

«اظن ذلك. ولكن، انا لم اسألك اذا كنت لا زلت تحبين مايكل».

نظرت غايل اليها وهي تهز رأسها:

«كلا. الاولاد هم الذين جعلوني اشعر بالتعاسة اليوم خصوصاً اني اعرف انهم لن يكونوا يوماً اولادي، فيما لا استطيع منع نفسي من التفكير بان اولادي سيشبهونهم».

واضافت بعد تفكير:

«كلا يا بيث. فمايكل قتل حبي عندما هجرني. وانا لا استطيع القيام بدور بطلة شابة متسامحة لأي بشر. ولأن مايكل يتحمّل مسؤولية ما حدث لي، وجب عليه الا يفسخ خطوبتنا. ولكن كان الحادث اختباراً لحبه. فلم يقو على التجربة. وهكذا حكم علي بالبقاء عانساً».

تنهدت بيث بعصبية بدون ان تتكلم. وبعد لحظات دخلت المطبخ لتضع اللمسات الاخيرة على وجبة العشاء.

اما غايل، فصعدت الى غرفتها حيث ادخلت شعرها تحت قبعة واقية من الماء واستعدّت للاستحمام. وارتفعت خصلة الشعر عن صدغها، فبرز جرحها قاتماً وقبيحاً بالمقارنة مع جلدها النضر والدراقي اللون. وظهر جرحان آخران على فخذيها، فيما امتد ثالث قبيح من كتفها اليمنى الى وسط ظهرها. ونظراً الى ان جراحها كانت مضاعفة، اعتبر الاطباء بقاءها على قيد الحياة معجزة.

لقد فكّرت مرات عدّة بدخول المستشفى لاجراء العملية التي اصبحت



ممكنة. لكنها غيّرت رأيها دائماً، لأن لا احد سواها يرى هذه الجراح. فلم كل هذا العناء؟

توجب على غايل ان تقضي قبل نهاية آذار عطلة اسبوع استحقت لها من اجازتها السنوية العام الماضي. فخططت ان تمضيها مع شقيقتها الصغرى هيذر، التي تزوجت رجلاً ثرياً وسكنت معه منزلاً فخماً عند اطراف غابة شيروود وهي الآن ترنو الى تلك الزيارة لأنها تتأخر في مغادرة الفراش، فتحضر لها الخادمة الشاي الى السرير قبل ان تسخن مياه الحمام وتجري التنظيفات الضرورية.

غادرت غايل عملها يوم الجمعة باتجاه محطة سكة الحديد. ولدى وصولها الى هناك، فوجئت برؤية السائق روجر بدل شقيقتها التي دابت على ملاقاتها بنفسها، وسرعان ما اوضح لها الامر واخبرها ان والدة روجر وقعت. فذهبت هيذر الى اسعافها والاطمئنان عليها. ثم اضاف:

«لقد اوصلت شقيقتك الى هناك قبل ان احضر للقائك. وسأوصلك الآن الى المنزل. ثم اعود فأحضر سيدتي».

«هل اصيبت السيدة سوينبورن بأذى كبير؟».

«كلا. فمدبرة المنزل أبلغتنا في اتصالها ان السيدة سوينبورن اصيبت. إلاّ أننا لم نجد اثراً لاصابة فعلية».

عندما وصلت غايل الى منزل هيذر، حيتها توردي، وهي خادمة مقيمة في المنزل. ثم رافقتها الى غرفة في مقدم البيت شغلتها غايل عادة اثناء زياراتها. وقالت:

«سأفرد أمتعتك بنفسي يا آنسة كرسلي. فاذهبي واشربي بعض الشاي الذي ستعده لك غرتا».

«لست متعبة ولا عطشانة. ولذا سأساعدك في فض الامتعة».

ثم حملت أدوات الزينة والتنظيف الى الحمام. ولدى عودتها، قالت توردي:

«ستستضيف اليوم ولدين. وهكذا اصبح عدد الاولاد عندنا أربعة. وأؤكد لك انهم لا يريحوننا لحظة. ولذا انا سعيدة لأنهم لن يطيلوا البقاء».

«ولدان؟ لم تذكر لي هيذر اي شيء عن هذا الموضوع عندما صادفتها يوم الثلاثاء».

«لانهم وصلوا مساء الاربعاء. ووالدهما لورد اسكوتلندي، وهو صديق السيد سوينبورن منذ ايام الدراسة».

«لورد اسكوتلندي! آه، انه لورد دنلوكري».

«صح. لقد نسيت انك تعرفينه».

«انا لا اعرفه. الا ان شقيقتي ذكرت اسمه مرة او مرتين امامي».

وتذكّرت غايل ان هيذر تكرهه كثيراً، وتقول انه قليل الكلام يختصر في حديثه الى حد الوقاحة.

«اليس هو مع اولاده هنا؟».

«كلا. فقد ذهب الى لندن لتصريف بعض الاعمال. ويبدو ان السيد مكنيل ترك ولديه هنا على ان يصطحبهما في طريق عودته الاسبوع المقبل».

قالت غايل فيما اخرجت قميص نومها من الحقيبة ووضعته تحت غطاء سريرها:

«أحسبه فقد زوجته منذ مدة».

«أجل».

وترددت توردي قليلاً قبل ان تضيف:

«لم اتمالك نفسي من استراق السمع الى بعض الحديث الذي دار بين السيد مكنيل والسيد سوينبورن ليلة وصول الاول الى هنا حين اعلن انه ذاهب الى لندن للعثور على مربية لأولاده الثلاثة على ما اظن».

«ثلاثة؟».

«انّ له ابنة في الخامسة عشرة من عمرها، وقد تركها في البيت».

لم تذكر هيذر، سوى ولدين هما روبي وهو في السابعة من العمر، وشنا وهي ابنة خمس سنوات ونصف.

«ما اسم ابنته الكبرى؟».

«موراغ».

توقفت توردي قليلاً، ثم قالت:

«هناك فرق ملحوظ بين اعمار الاولاد، اليس كذلك؟».

«تقصدين بين عمري روبي وموراغ: اجل. هناك فرق شاسع».

لقد ردّدت هيذر ذات مرة ان آندرو مكنيل يبلغ السابعة والثلاثين من العمر. اذن، لا بد انه تزوج في سن مبكرة جداً اذا كانت له ابنة تبلغ



الخامسة عشر من العمر.

أخرجت توردي السترتين الأخيرتين من الحقيبة، واودعتهما الدرج. ثم اغلقت الحقيبة وادخلتها الى غرفة تبديل الملابس. وعادت لتقول:

«ها قد انتهيت يا آنسة كرملي. فهل ترغبين ان اصنع لك بعض الشاي؟».

«من فضلك يا توردي. سانزل حالاً».

وبعد ان غسلت غايل وجهها وسرحت شعرها، نزلت الى قاعة الاستقبال قبل ثوان من دخول هيذر عليها معتذرة عن عدم تمكنها من مقابلتها في المحطة.

«اتصلت بي مديرة منزل الخدمة لتبلغنا ان قدم السيدة سوينبورن زلت، فوقعت. وكان عليّ ان اذهب. كما وعدتها بان يزورها روجر مساء. لكننا سنبقى ساعة او ساعتين معاً».

كنّ الاخوات الثلاث مودة عظيمة لبعضهن مع قلة التشابه بينهن. فهيذر شقراء جذابة، بيث سمراء عادية المظهر. وأما غايل، بملامحها الكلاسيكية الدقيقة، فتوحي بالضعف للوهلة الاولى مع انها اقوى الاخوات الثلاث شخصية. ووقفت هيذر برهة وهي تبتسم لغايل:

«هل تناولت شيئاً؟».

«توردي تعدّ لي الشاي. وها هي ذي قادمة».

«لقد اعددت بعض الشطائر. اما الكعك فساخن. والآن، هل ترغب سيدتي باحضار شيء آخر؟».

«كلا يا توردي، شكراً. هذا جيد. ولكن، اين الاولاد؟».

وتحوّلت هيذر نحو غايل:

«هل اخبرتك توردي عن ضيوفنا؟».

وما ان جهزت توردي الطاولة، حتى خرجت. وسألت غايل فوراً عن اولاد لورد دنلوكري. فاخبرتها هيذر:

«انهما طيبان، لاسيما روبي. لكني لا اطيق والدهما».

«اخبرتني توردي بأنه في لندن».

«اجل. فمن الواضح انه يعاني بعض المشكلات مع المربيات. . . .».

«يبدو انه وظّف بضع مربيات حتى الآن».

«هذا صحيح. غير اني لا اعرف الكثير عنه لانه صديق روجر لا صديقي انا. وروجر قلّما يتكلّم. لكن ما اسمعه يؤكد لي انّ زوجة آندرو كانت سيئة السيرة، وحظه كان تعيساً معها، وانّ ابنته الكبرى تتبع خطاها. وهي مصدر الازعاج وليس بوسع اية مربية تحمل تعجرفها وغرورها وتكبرها».

«أليس من الصعب ان تعتني بها مربية وقد اصبحت في سن المراهقة».

«ليس المقصود ان تعتني المربية بها اصلاً. الاّ انها تنغص على المربية عيشها، فتجبرها على مغادرة المنزل. ومعلوم انك لا تستطيعين معاملة الخدم بهذه الطريقة في ايامنا الحاضرة لانك سرعان ما تخسرينهم».

«لكنّ السيد مكنيل يبحث عن مربية جديدة!».

«لقد نشر اعلاناً عن حاجته في الصحف اللندنية، الامر الذي يعني انه يريد فتاة انكليزية. لذلك، قصد المدينة ليقابل المرشحات في شقة وضعها احد اصدقائه تحت تصرفه».

حركت غايل الشاي وقد غرقت في تفكير عميق. ثم قالت:

«هناك فرق شاسع بين اعمار الاولاد، اقصد الابنة الكبرى البالغة خمس عشرة سنة على حدّ قول توردي، وروبي».

«لا اعرف القصة بكاملها. ولكن، كما قلت، روجر لا يتكلّم كثيراً، بدافع الاخلاص لصديقه وكل هذا الهراء الذي يملأ الرجال به رؤوسهم. على اني سمعت ان زوجة آندرو هجرته بعد ان بلغت موراغ الثالثة من العمر. ثم عادت اليه سنة كاملة».

«هل صفح عنها؟».

«لا بد انه فعل. واني اعتبره رجلاً طيباً من حيث الجوهر، ويلتزم بعهوده، ويقدس الزواج كرباط ابدي. واظنه امتنع عن انجاب الاولاد لئلا يترك معهم وحده في حال هجرته زوجته ثانية إن عادت الى سابق عهدها، الامر الذي تكرر بالفعل. وقد ولد روبي بعد رجوعها حيث قرر اندرو، على ما ارى، ان يكون وريثاً ولم تمض سنة ونصف حتى ولدت شنا. ثم قتلت والدتها في حادث تزلج في النمسا حيث كانت تقضي عطلة مع احد اصدقائها الشبان في حين زعمت انها ستقضي تلك العطلة مع احدى صديقاتها من ايام الدراسة».



«احد اصدقائها الشبان!».

«يحب روجر ان يصف تصرفها بعبارة ارق. غير اني جازمة واستعمل كلمة مختلفة تماماً».

ثم صبّت الشاي واضافت:

«أما ابنتها، فتسير سيرتها. ولا تكف عن ازعاج والدها».

«وهي في الخامسة عشرة من عمرها؟».

«يبدأ الشبان مغامراتهم في سن اصغر من ذلك بكثير هذه الايام».

«مسكين السيد مكنيل. انه لامر محزن ان يتعرّض رجل في مثل مستواه للفضيحة».

سالت غايل بفضول:

«حدثيني عنه».

«ألم اقل لك عنه اي شيء؟».

ابتسمت غايل:

«لم تقولي لي الكثير. فانا اعرف منك انه في السابعة والثلاثين، وانه لورد اسكوتلندي. وهذا كل شيء. وقد اخبرتني ايضاً انه دعاكما الى منزله. فلم تذهبي لانك لا تطيقينه».

«اذكر دعوته لنا الى حفلة صيد الغزلان. فقد رغب ان يزوره روجر. وارتأى من اللياقة ان تشملني دعوته. غير اني رفضت بلطف. فذهب روجر وحده».

«لماذا تكرهينه؟».

«انه شديد الكبرياء والغرور. والحقيقة انني لا اعرف ماذا يرى روجر فيه حتى يغتاظ كلّما ذكرت اسمه. من هنا لا اتحدث عن الرجل التعس مطلقاً. كما اني لم اره الاّ في مناسبات ثلاث لم يظهر في اي منها رغبة وصبراً في التحدّث إليّ. وادركت من كلامه انه يكره النساء».

«هذا محتمل بسبب ما لقيه من عذاب ومعاناة على يدي زوجته وابنته».

«لا يمكنني تصوره يتألم لشدة قساوته وصلابته. فهو من هذه الناحية اسكوتلندي مثالي. وانما اعتقد ان الاذلال والهوان لا الالم والعذاب هما ما يقلقه».

«ولكن، لا بد انه احب زوجته حتى اعادها اليه مرتين».

«هذا ما لا يمكن ان اعرفه لأن آندرو يبدو في نظري عاجزاً عن ان يحب».
صمتت غابل هنيهة وهي تتساءل اذا كان استرداد آندرو لزوجته ناتجاً عن حبه لها او عن رغبته بحفظ عهوده. ثم لاحظت:
«من المخزي ان تكون ابنته الآن مصدر اذلاله وعاره خصوصاً ان الخبر سينتشر بين الناس».
«لا يمكن ابقاء مثل هذا الامر سراً».
سكتت هيذر قليلاً. ثم اضافت:
«انا لا اعرف الكثير عنه. لكنني رأيته للمرة الثانية في بيت احد اصدقاء روجر من ايام الدراسة. فاطلعتني ماري، زوجة ذلك الصديق الثرثارة، على القليل الذي تعرفه عن آندرو. وليس هناك أدنى شك في ان موراغ تحاكي امها خبثاً ونزقاً. وهي مولعة بالرجال ايضاً. وخير دليل على قلة امانتها، سرقتها بعض النقود من احد اصدقائها بقصد مرافقة احد الشبان الى الخارج».
«هل هي خبيثة الى هذا الحد؟».
«تعتقد ماري ان موراغ مكتيل لا تستحق ان تعيش. وفي الحقيقة تلمح الى انها ليست ابنة آندرو».
«ليست ابنته؟ يا له من تصريح خطير».
«لقد ولدت موراغ في مرحلة مبكرة كان من الطبيعي ان يثق فيها آندرو بزوجته، والاّ يتهمها بالخيانة. ولن يعرف احد اذا داخله الشك في هذا الامر أو لا».
«لا استغرب اذن قساوته وبلادته. وهو بالفعل يستحق الشفقة».
«يستحق الشفقة! انه لا يشكر من يرثي له. اصبري حتى تقابليه».
«هل سألقاه؟».
«انه سيحضر يوم الاربعاء فيما لن تغادري انت قبل يوم السبت».
«اعتقد انه يملك عزبة واسعة».
«لا يحمل لقب لورد من لا يملك عزبة واسعة. والعزبة التي يقوم فيها منزله تمتد على آلاف الافدنة. وهو يملك عزباً اكبر منها في الشمال. وله اسهم في بعض المصانع ايضاً على حدّ قول روجر. واقر انه يجهد نفسه في



العمل، وانه رفيع الشأن لانه عضو في حرس الملكة الشخصي، وفي فرقة رماة الشباب الملكية».
اصغت هيذر قبل ان تصيح:
«ها قد رجع الاولاد. اسمعي ضجيجهم».
التفتت غابل عبر النافذة. فرأت الاولاد الاربعة يتسابقون في الروضة ويهتفون بأعلى صوتهم. وفي ثوان فتح الباب على مصراعيه، ودخل ولدان احمرّا خجلاً وضاق نفسهما. ثم عانقت ماندا خالتها وصرخت:
«خالتي غابل. هل حضرت منذ وقت طويل؟ عندنا ضيوف. هل رأيتهم؟».
«لقد رأيتهم الآن».
ثم اشارت ماندا الى الصغيرين الواقفين في الباب.
«هيا. اقتربا وصافحا خالتي غابل».
ضحك سيمون:
«هما خجولان. هيّا. فخالتي غابل لا تأكل بشراً».
تقدم روبي اولاً، وهو يمد يده الصغيرة وقد اتسخت قليلاً:
«كيف حالك؟».
نظرت اليه غابل. فرأت في ملامحه الصلابة والقوة والجرأة على رغم صغر سنه.
«اني سعيدة بلقائك يا روبي. هل هذه شقيقتك؟».
«انا شنا».
تأملت شنا غابل بحذر قبل ان تمد لها يدها بحرارة وعفوية اقل من تلك التي اظهرها روبي فيما قطبت جبينها على نحو لا مبرر له:
«هل ستبقين هنا؟».
«لمدة قصيرة».
وسحبت الطفلة يدها الباردة بسرعة، بينما دعا سيمون خالته لملاعبتهم:
«تعالي والعبي معنا كما تفعلين دائماً».
«خالتك غابل تشرب الشاي».
واخيراً خرجت غابل. فشارك الجميع في لعب الكريكيت، فوق

اعشاب الروضة. وفي اليوم التالي اصطحبت غايل وهيذر الاولاد الى الاحراج. اما روجر، فرافقهم يوم الاحد في نزهة بالسيارة تناولوا خلالها الشاي في نزل ريفي. وبسبب عطلة نصف الفصل، قضى سيمون وماندا اليومين التاليين في البيت. وسمح لهم دفء الجو وصحوه باللعب في الخارج.

وذات مرة تخلّت هيذر عن حذرها، وقالت لغايل:

«لقد احببت هذين الطفلين، اليس كذلك؟».

اطرقت غايل فيما فكرت انها استمتعت برفقة الصغيرين فعلاً مع ان الايام مرت سريعة. ومع انها تاقت الى لقاء اهلها، فانها حزنت على مرور الوقت.

وصل آندرو يوم الاربعاء قبل العشاء تقريباً. وبينما كانت غايل تبدل ملابسها في غرفة نومها، رأت السيارة تتوقف في الممر المؤدي الى المنزل وترجل منها اثنان. وبدا آندرو مكنيل مهيباً بقامته الطويلة المنتصبة وكتفيه العريضتين القويتين. الاّ انه استدار نحو البيت قبل ان تتمكن غايل من تفحص قسماته، فتابعت ارتداء ملابسها. وبعد ان القت نظرة اخيرة على نفسها في المرآة، نزلت الى قاعة الجلوس حيث استقبلت شقيقتها وصهرها ضيفهما. ولمّا دخلت، استدار آندرو ورمقها بنظرة لامبالاة قبل ان يتابع حديثه مع روجر، الذي ابتسم وتكلم بسرعة. اما غايل فغضت الطرف عن سوء سلوك آندرو.

ضغط آندرو على يد غايل، فاجفلت. ولكن سرعان ما تلاشى اهتمامه بها. كما تجاهل هيذر التي دعت غايل لمساعدتها في اعداد العشاء. وبينما قطعتا الممر الصغير، سألت غايل:

«الا تحضر توردي ولويز العشاء؟».

اجابت هيذر باستياء:

«بلى. لكني اضطررت للخروج. الم تجدي انه رجل لا يطاق؟ سيغضب روجر مني، لكني لن اساير اصدقاءه المتعجرفين والسيئي الطبع».

فقهقهت غايل:

«هل هناك آخرون مثله؟».



«صديق واحد وحسب. ولا يمكن ان يوجد له مثيل».

«لعله يفضل صحبة الرجال».

«ربما. بل من المؤكد انه يفضل صحبة الرجال».

فسألتهما لويز فيما اخرجت قطعة لحم كبيرة كانت تشويها في الفرن:

«هل تتحدثان عن السيد مكنيل؟».

«بالضبط يا لويز».

علّقت لويز برقة:

«انه يفوق اناقة سائر الرجال الذين رأيتهم. كما انه ينزع الى السيطرة مثل أبطال الافلام. ولعلك تفهمين قصدي».

التقت نظرات الشقيقتين. وضحكتا بينما قالت توردي:

«يبدو ان لويز وقعت في هوى السيد مكنيل».

ابدت هيذر ملاحظة سريعة اتسمت بالحدة:

«لكل شخص ذوقه. هل يسير كل شيء على ما يرام؟».

«على خير ما يرام. لقد اتقنت صنع الصلصة. وارجو ان تعجب السيد مكنيل».

اوضحت هيذر:

«لدينا ضيفان».

تطلّعت لويز الى غايل:

«آسفة يا آنسة كرسلي. آمل ان تنال الصلصة اعجابك».

«اني واثقة من ذلك يا لويز. وانا دائماً اقول ان لا احد يتقن تحضير الصلصة مثلك».

جلست غايل الى طاولة العشاء قبالة آندرو، الذي لم يعرها اي اهتمام. لذلك لم تحرج وهي تتفحص ملامح وجهه السمراء النحيلة القاسية، وفمه الثابت القوي، وتماوج شعره الاسود المسرح الى الوراء قليلاً. بينما تحول الشعر عند الصدغين الى رمادي، ولونت زرقة داكنة عينيه الشبيهتين بعيني الصقر فيما علاهما حاجبان كثيفان مستقيمان. وبدا شرساً وهمجياً بعض الشيء على رغم ان سيماء وجهه ومظهره المهيب طبعته بطابع الارستقراطية الاسكوتلندية.

واخيراً، كان لا بد ان يفطن آندرو الى اهتمام غايل به. فتفحّصها

بنظرة غرور. فاستحت. وخفضت عينيها، وركزتها على طبقها. الا انها احست ان عينيه ما زالتا مسمرتين عليها. فوضعت يدها على خصلة الشعر المسدلة فوق صدغها بدون ان تدري. ولمست الجرح خلاله. وتساءلت لماذا اضطربت لمجرد التفكير بأن الجرح قد يبرز.

وبعد قليل استنتجت من حديثه مع روجر انه لم يجد مربية. ولما صعدت شقيقتها الى الدور الاعلى، وخرج صهرها ليودع السيارة في الكاراج قالت وهي تحس صعوبة في التنفس:

«اخبرتني شقيقتي انك اعلنت عن حاجتك الى مربية».

«هذا ما افهمتها اياه هي وروجر».

بالكاد لاحظت غايل صوته العميق البارد وذلك لانشغالها بالمراوغة في جوابه والغرابة في كلامها. وتعذر عليها ان تتحدث ثانية بعد ان دخلت توردي بصينية العشاء. وما هي الا دقائق حتى عادت هيذر، فساد الغرفة صمت الى أن قطعه روجر:

«هل ينبغي ان تذهب غداً؟ ما رأيك ان تتخلف بضعة ايام عندنا؟».

اكفهر وجه هيذر فيما انتظرت جواب آندرو:

«سأفعل بامتنان».

ظل صوته جامداً على رغم ظهور نبرة كآبة مخالفة لشخصيته. الا انه سرعان ما نجح في اخفاء عواطفه بعد ان عاد يتحدث الى صديقه.

احب روبي غايل منذ اللقاء الاول. في حين حافظت شقيقته على حذرها تجاهها وبعدها عنها علاوة على شعور بالتعالي بدا غريباً في طفل من عمرها. مع ذلك رغب الاولاد الاربعة في ان تلاعبهم غايل، التي لاحظت غير مرة نظرات آندرو الغريبة اليها. وتجلى ذلك ذات يوم بعد تناول الشاي. فقد جلست غايل في البهو الصغير تقرأ قصة للأولاد الذين افترشوا البساط عند قدميها. واقترب روبي كثيراً منها، والقى رأسه الاسود الجعد على ركبتها. ورفعت نظرها من ثم لترى آندرو منتصباً في الباب وهو يركز نظره عليها. فتوقفت عن القراءة محرجة بسبب مراقبته الصامتة لها. فابتسم روبي لها راجياً:

«ارجوك تابعي القراءة يا خالة غايل. فالقصة ممتعة».

بادلت غايل روبي الابتسام وهي تستغرب ان يكون قد تقرب منها في



هذه المدة القصيرة.

«هل اعجبتك القصة؟».

«انها قصة رائعة. لا احد يقرأ لنا في البيت».

وجددت النظر الى الرجل الطويل الواقف في الباب. وكادت تغلق كتابها برهة لو لم يسرع الى القول:

«لن اقاطعك يا آنسة كرسلي، لأن الاولاد منسجمون كما يبدو».

ثم تراجع وأغلق الباب بهدوء.

وقفت غايل على الشرفة في مساء اليوم التالي تتمتع بالسكينة بضع دقائق قبل ان تأوي الى فراشها بعد ان تمنت ليلة سعيدة. وودعت آندرو الذي سيسافر في الغد. ولف الجو الدفء والهدوء بينما اندفع القمر بين الغيوم وهبت نسيمات لطيفة. الا ان غايل اضطربت نتيجة وداعها الاخير لروبي وشنا اللذين، على الارجح، لن تلتقيهما ثانية. فقد حل روبي محلاً رفيعاً في قلبها بكل تأكيد. ففكرت انها لو كانت ترزق بولد لما تمنت ان ترزق الا بولد يشبهه.

واستدارت فجأة وقد لفها الاضطراب لأنها رأت آندرو يقف في باب الغرفة وراءها يراقبها. واستدارت ثانية وهي تتوقع ان يتراجع الى الداخل. غير انه اندفع الى الشرفة ووقف بجانبها بقامته المديدة المنتصبة وشخصيته المهيبة. فتكلمت على الفور لرغبتها في قطع حبل الصمت قبل ان يطغى عليهما:

«الجو رائع الليلة. لذلك خرجت لتنشق الهواء الطلق قبل ان آوي الى الفراش».

لم يعلق آندرو بشيء. فتابعت حديثها بالسرعة نفسها:

«يبدو ان رحلتك غداً ستكون ممتعة».

«غاية في المتعة».

«اخبرتني هيذر انك اودعت سيارتك هنا».

«اجل، لقد اودعتها».

لماذا قصد ان يراها هنا؟ فهو لغاية الآن لم يبد سوى اهتمام بسيط بها وذلك اثناء وجودها مع الاولاد فقط. ولم يتكرم عليها حتى بنظرة طوال الوقت الباقي. لماذا جاء؟ سألت نفسها هذا السؤال مرة ثانية. ومع ان

قلبها اخذ يخفق بسرعة فائقة، فانها لم تتهيأ مطلقاً لكلمات آندرو التالية:

«اعترف يا آنسة كرميل اني راقبتك فيما كنت مع اولادي. وكما تعرفين، فقد كنت ابحث عمن يعتني بهم».

قالت وهي تتنفس بصعوبة لشدة فرحها:

«اعرف انك تبحث عن مربية».

تلا ذلك صمت قصير. وتوارى القمر خلف الغيوم، فغاب وجهه في الظلمة. «اريد شخصاً يعتني باولادي».

انتظرت وهي تعرف ماذا سيقول، او حسبت انها تعرف. وبان القمر ثانية، فبدا وجهه صلباً وجامداً فيما حافظت غايل على صمتها وحزمها. ثم قالت:

«أ... ألم تجد مربية مناسبة لـ... لهم؟».

بم ستجيبه اذ هو طرح السؤال آخر الامر؟ انها تتمنى ان تعيش مع الاولاد وتعتني بهم وتحبهم وكأنهم اولادها. وقد احبّت روبي واحبها. اما تينا...

«لم اكن ابحث عن مربية».

«لم...؟ لقد قالت لي هيلدر انك اعلنت عن حاجتك الى واحدة، ولذلك قصدت لندن».

ما كادت غايل تنطق بهذه الكلمات حتى تذكرت جوابه المراوغ لها قبل بضع ليال.

«صحيح اني اعلنت عن حاجتي الى مربية».

سكت طويلاً، ثم اضاف:

«لكنّ احداً من المرشحات لم تتوافر فيها شروطي».

«لا افهمك. فانك قد قلت قبل قليل انك كنت تبحث عن مربية».

«اني ابحث عن زوجة. لكن، من الطبيعي الا اعلن عن ذلك. وكم تمنيت ان تلائمني احدى المرشحات. غير ان امنيتي لم تتحقق».

«زوجة يا سيد مكنيل؟!».

«ان اولادي محرومون منذ ولادتهم من حنان الام. والمربية لا تقدم حلاً حتى لو طالت اقامتها. لذا اريد اماً لاولادي».

انتابتها خيبة الامل اذ فكرت لماذا يقول لي ذلك؟ الآن فقط عرفت انها



كانت ستعبّر عن قبولها لمنصب مربية بشغف ومن دون تردد. فرفعت عينيها وقد بانت فيهما آمالها المهشمة. قالت بتردد:

«فهمت... لقد ظننت للحظة... للحظة... انك تعرض علي وظيفة مربية».

«وهل كنت ستوافقين؟».

اطرقت تعسة:

«أجل يا سيد مكنيل. كنت سأقبل».

تراجع، واسند ظهره على الدعامة الحجرية. وقال:

«وماذا لو طلبت اليك ان تعتني بهم وكأنك امهم؟».

بالطبع، كان يجب ان تعرف. ورغم ذلك نظرت اليه وهي مدهوشة ثم تسارع نبضها. لقد تمنت ان تكون زوجة واماً قبل حصول الحادث، وكان ذلك قدرها المحتوم.

«لا أقدر... اخي...».

صمتت وقد ارتبكت واحتارت:

«هذا مستحيل يا سيد مكنيل. فنحن لا نكاد نعرف بعضنا».

«لا ريب انك رغبت في قبول وظيفة المربية...».

«اجل. سأقبل ذلك بفرح».

«لا يختلف المنصب الذي اعرضه عليك الا قليلاً. فهو ترتيب اداري، لكنه ملزم غاية الالزام يا آنسة كرميل. فعلي ان اتزوج من اجل اولادي».

توقف وهو ينتظر جوابها. لكنها لم ترد. فتابع حديثه:

«لعلك لا تعرفين شيئاً عن ابنتي الكبرى. لقد حرمت من حنان الأم، وكانت نتائج هذا الحرمان مريعة. فهي الآن في حال لا يمكن اصلاحها معه. وانا لا اريد ان يسير صغيراي سيرتها».

«لا يمكن اصلاحها! كيف يمكنك ان تقول ذلك؟».

«ستجبرينني على التصريح بالحقيقة. ولست ادري ماذا سيحل بها. فقد جربت مساعدتها. الا ان تأثير الرجل وحده لا يكفي. لقد اضعتها. لكني لا ازال احتفظ بروبي وتينا حتى الآن على الاقل».

«انك لن تخسرهما لانهما يحبانك. اؤكد لك انهما يحبانك حباً جماً».

«صحيح ان روبي يحبني. لكني لست واثقاً من حب تينا التي تحولت الى

طفلة عنيدة يصعب التعامل معها».

هنا انقطع عن الكلام. لكنه عندما عاد الى الحديث تهدج صوته من شدة المشاعر التي اختلج بها صدره:

«لا يجب ان تنهج شنا نهج احتها».

فكرت غابل بما قالته هيذر عن ان موراغ ليست ابنة آندرو، ولما نظرت الى وجهه ورأت ملامح شخصيته المعذبة، تحققت من صحة ذلك اذ لا يمكن ان تصل الى حال لا يمكن اصلاحها معه. يا له من تصريح خطير يقال في حق ابنة خمس عشرة سنة. ثم تساءلت غابل: هل يسعها مساعدة موراغ؟ هل تستطيع اعادتها الى الصراط المستقيم؟

انقضت ساعة قبل ان يدخل آندرو وغابل الى البيت.



# ٢ - الزواج المرّ

ذرعت هيذر غرفة شقيقتها ذهاباً واياباً وقد امتقع وجهها.

«لا ريب انك جننت يا غابل. وقد أثر هوسك بالأولاد على تفكيرك».

«سوف اصبح زوجة واماً. ومن المؤكد انك تنكرين عليّ هذا الحق».

ولن تنعمي بشيء من ذلك، انما انت تخدعين نفسك. فهو قد اكد بنفسه ان الأمر لن يعدو ان يكون ترتيباً ادارياً. فكيف يمكن ان تكوني زوجة؟».

«ليست المعاشرة محور الحياة الزوجية...».

«انك طبيعية. وسوف تلتقين الرجل الذي يحبك وينشىء معك علاقة عادية ناجحة. إن احداً لم يفلح في انشاء شراكة غير طبيعية كالتي تطمحين اليها».

ووقفت هيذر بجانب الكرسي الذي جلست عليه غابل، ونظرت اليها متوسلة:

«تريثي. بحق السماء تريثي».

«لقد وعدته. ولن اخل بوعدي».

«هل تتوقين الى الاخلال؟».

«اريد ان اتزوجه».

«الم تري اي صنف من الرجال هو؟ انه فظ قاس».

«قاس!».

«اوليست لك عينان؟ الم تري وجهه وتعرفي انه لا يحب النساء؟ في اي حال، توافرت لك شواهد كثيرة على ما اقوله في الأيام القليلة الماضية. فهو

قد ضاق ذرعاً حتى بنا انا وانت».

«لا يهمني كرهه للنساء. فانا مناعتي بالاطفال. ولا اتصور اني ساحتك به كثيراً».

«الا تحتكين بزوجك؟ ما هذه الحياة؟»

«انت تعرفين الوضع تماماً لاني شرحته لك بالتفصيل. فنحن سنتزوج. إلا انا لن نضع قيوداً على بعضنا وهذا هو الحل الوحيد».

«هل سترضين بمثل هذا الوضع؟».

«لقد قررت بملء ارادتي ان اخطو هذه الخطوة. وانا اعرف ماذا يسمى بالضبط».

«لا بد ان تؤثر عليك حقيقة كراهيته للنساء سواء كان ذلك ضمن ترتيب اداري ام لا».

«من المعروف انه يكره النساء».

«اني اقر بهزيمتي. ولا استغرب ان تقنعي التبريرات المختلفة لتصرفاته بعد شهر من الآن».

«شهرا ان ذلك لمدة قصيرة».

«سوف تظهر لك حقيقته فور ان يقبض عليك بمخالبه».

«ارجوك الا تكوني عاطفية وتتصوري الأمور بسذاجة».

«كيف تقبل فتاة عاقلة ومتزنة ان تعلق بالفخ من دون ان تفكر للحظة؟ لن تفعلي ذلك يا غابل».

«ماذا يمكنك ان تفعلي حتى تمنعيني؟ انه رجل صادق وشريف، وانا اثق بكلامه. وهو لا يريد اكثر من ام لأولاده. ولذلك من الطبيعي ان يظهر المودة في معاملته لي. وقد قبلت العرض لانه كان واضحاً وصريحاً. وفي اي حال نحن غريبان عن بعضنا وهذا، ربما، افضل».

عادت هيذر تسير ذهاباً واياباً. ثم قالت:

«ان افكارك غريبة للغاية. ولكن، ارجو الا تأتي الي عندما تكتشفين انك حولت حياتك جحيماً. واؤكد لك ان بيث لن تصدق كل ما حدث».

«ان سني تسمح لي بالتحكم بمصيري كما اشاء. وبوسعي ان احب الصغيرين. ومن الأفضل ان اساعد موراغ اذا استطعت. وهكذا لن تذهب حياتي هدراً يا هيذر كما هي الحال الآن. ربما صعب عليك ان



تفهميني لانك تتمتعين بوجود روجر وولديك. لكن، ستطغى الوحدة والوحشة على مستقبلي اذا لم اتزوج آندرو. وانا لا استطيع التنبؤ بما قد يغير حياتي سوى هذا القرار الذي اعتبره حكيماً، ولا تساورني بشأنه اية مخاوف».

تطلعت هيذر الى غابل وهي تهز رأسها:

«هل تظنين فعلاً انك تستطيعين مساعدة هذه الفتاة علماً بأن والدها اعلن ان حالها لا يقبل الاصلاح؟ وهل يقر رجل مثل آندرو بالهزيمة اذا لم يقتنع تمام الاقتناع بهزيمته؟».

«اعترف ان آندرو لن يقر بهزيمته بسهولة. ومع ذلك فساحاول».

«لماذا تحاولين؟ انها ابنة امها. وقد اخبرتك ان ماري قالت ان الفتاة لا تستحق ان تعيش».

«هذا تصريح خطير يا هيذر. لا يمكن ان يكون احد على هذا القدر من الشر».

«لا يجوز ان يكون الجميع مخطئين. هل تقصدين ان اباها يبالغ في اقواله؟».

تحولت غابل عن شقيقتها وقد ابيض وجهها وبرق الدمع في عينيها. واخيراً اكدت باصرار:

«ساحاول».

«ستخفقين».

«ربما. ولكن، يبقى الولدان الآخران. سانشئهما تنشئة صالحة يفخر بها آندرو. وهذا سيعوض عن موراغ بعض الشيء».

«هذه بطولة خارقة».

نظرت غابل الى هيذر المائجة والتي تفوهت باقوال لم تكن لتتلفظ بها في ظروف عادية. الا انها كانت قلقة على غابل وخافت عليها اكثر من نفسها. بل الحقيقة ان غابل لم تعرف الخوف ابداً. فلقد عرفت بالغريزة انها اختارت الطريق القويم ووضعت ثقتها الكاملة بغريزتها تلك.

«لست بطلة. لقد اخبرت بيث بذلك منذ بعض الوقت. فانا بشر، وهذه خطوة هي لمصلحتي ومصلحة الأولاد. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي اصبح بها اماً. لقد واتتني الفرصة مرة واحدة في حياتي، ومن السخف

والجنون الا انتهزها».

«لو استطيع ان اعيد دورة الزمان الى الوراء، لما كنت قابلت آندرو».

لاحظت غابل وقد اغتاظت:

«كلنا نتمنى ان نعيد دورة الزمان الى الوراء، انما ليس بوسع احدنا ان يفعل ذلك. لقد قابلت آندرو، وانا عازمة على الزواج به مهما قلتم».

«احذرك من ان بث وهاري سيقولان لك اشياء كثيرة».

والحقيقة انهما فعلا. فعاشت غابل الجدال والمشادات ثانية في اليوم التالي عندما ذهبت لحزم امتعتها. وقد وصلت الى البيت برفقة زوجره وهو الوحيد من اقاربها الذي لم يفه بكلمة اقناع واحدة. اما بث فقالت:

«عليك ان تصبري حتى تجدي الرجل الذي يحبك».

واستطردت ان بوسع غابل ان تعيش حياة طبيعية وان تنجب مع زوجها الأولاد. وعلى رغم ان الجدال لم يتوقف لحظة اثناء حزم غابل لامتعتها، فإنها ظلت على اصرارها وحزمها، علماً انها استغربت احياناً رباطة جأشها. ولم تتصور اية مشكلة او صعوبة لان الولدين سيكونان تحت امرتها، وآندرو لن يتدخل إذا لم تحد عن الخط القويم. فهو لا يطمع باكثر من الحياة الهادئة، وهي لا تتمنى سوى ذلك. ومن المؤكد انها ستدير شؤون منزله كأي زوجة عادية. ومن البديهي ان يتوقع منها ذلك. اذن فغابل لا ترى اية ثغرة في تلك الترتيبات. وهكذا، على رغم اشمئزاز واعتراض جميع اقاربها باستثناء زوجره، اقترنت غابل بآندرو يوم الثلاثاء التالي. وغادرا في اليوم نفسه الى عزبته في برتشاير.

ولم يتكلم آندرو كثيراً في الطريق. وكذلك فعلت شنا، التي احفقت محاولات غابل العديدة لازالة تحفظها. اما روبي، فابتهج كثيراً. ولم يجد صعوبة في مناداة غابل «ماما» تحقيقاً لرغبة والده، في حين بدت شنا مصممة كل التصميم على الا تحذو حذوه. لكن غابل لم تنزعج من تصرفها هذا لشدة تعاطفها وثقتها بانها ستقضي على عناد الطفلة في المستقبل القريب.

ولما وصلوا الى ادنبره، عاصمة اسكوتلندا، سأل آندرو غابل:

«هل زرت ادنبره من قبل؟».

«اذكر اننا قضينا بضعة ايام في اسكوتلندا عندما كنت صغيرة».



وصدمت غابل اذ قطنت انها لا تعرف مكان سكن زوجها. فسألت:

«هل يبعد بيتك كثيراً عن هنا؟».

فاعلمها روبي على الفور:

«نحن نقيم في منطقة المرتفعات الهايلاند. لكننا نملك بيتاً اخر يبعد كثيراً، أليس كذلك يا بابا؟».

اجاب اندرو:

«اجل يا روبي. انه مقر للصيد».

فعلق روبي:

«لكنه كبير».

«اجل انه كبير».

واجتازوا المدينة. فبرزت امامهم القلعة الشهيرة التي ولدت فيها الملكة ماري. وهنا سألت غابل:

«ماذا تصطادون؟».

«الغزلان».

انحنى روبي فوق المسند الخلفي لمقعد والده:

«عندما اكبر سوف اصطاد الغزلان. لقد اعتدت الا تصطحبنا معك عندما تذهب الى الصيد، ولكن، هل يمكننا ان نرافقك الآن وقد اصبح لنا ام؟».

«ربما. سوف افكر في الامر لاحقاً».

«هل ستصطادين يا ماما؟».

«كلا يا روبي. لن افعل».

«لا يسعها ان تكون صيادة ماهرة».

«يبدو اصطياد الغزلان وسيلة لتغيير الاجواء».

«هذا جزء من حياتنا لا شك انك ستألفينه».

وادار آندرو رأسه لحظة، فلاحظ دهشتها. واضاف:

«ان القضاء على الغزلان الضعيفة ضرورة لقطيع الغزلان نفسه. فلو بقيت جميع الغزلان على قيد الحياة وتضاعف عددها، لحلت بها المجاعة. ولعلك تعتزين اذا علمت اني لا اسمح بالصيد داخل اراضيّ الا للرماة البارعين».

قالت غايل بعبوس:

«ولكن، يمكن للرامي الا يصيب».

رد آندرو مقطباً جبينه:

«من الخير الا يفعل».

«هل تقصد ان الحيوان يقتل على الفور ذاتها؟».

«اذا لم يقتل الغزال، فعلى الصياد المسؤول عن الفريسة ان يلحق بها ويقتلها مهما كلفه ذلك من وقت. على اني لا اسمح الا للرماة الماهرين بالصيد داخل اراضي. ونحن لا نطلق النار الا اذا تيقنا من الاصابة المباشرة والموت السريع».

اقفلت غايل الحديث، وظلت على اقتناعها بخطأ اصطياد الغزلان مع قول آندرو ان العملية مفيدة للقطيع نفسه.

وعبروا جسر فورث المخيف شمالاً نحو الهايلاند مجتازين منطقة اوكيلز.

وبعد توقفهم في برث لتناول المرطبات، فاجأ آندرو غايل بالتفافه حول المدينة. فتمكنت ان تتفرج عليها من قمة كينول وهي أحد مرتفعات سلسلة سيدلو وهنا تكلمت غايل التي صمتت طويلاً فيما ادخلت يدها في يد والدها:

«الم تزر هذا المكان من قبل؟ اليس باستطاعتنا ان نرى من هنا على مسافة بعيدة؟».

لقد ارتفعت خلف وادي تاي الأبيض والأخضر تلال اوكيلز التي اجتازوها قبل قليل، في حين امتدت الى الغرب جبال بتز وجبال غرامبيانت.

«انه منظر رائع».

نطقت غايل بهذه الكلمات وهي تشعر بالحماسة والتأثر في بداية حياتها الجديدة.

واخيراً تحول آندرو عن الطريق العام ليسلك منحدراً شديداً يؤدي الى قوس بوابة عال مصنوع من الحديد المصبوب ومحاط ببرجين حجريين ضخمين على الجانبين يقع عند اسفلها المسكن. وجرى على جانب الممر المؤدي الى المنزل والذي يمتد مسافة ميل، جدول صاخب. كما احاطت به



اشجار الصنوبر الأرزية ونباتات زهر الربيع. وتجمعت افراس صفراء محمرة حول اصطبلاتها، بينما رعت اغنام ذات وجوه سوداء فوق الخد المفتوح، واحتجبت ابقار الهايلاند في الظلال على مسافة بعيدة.

واحاطت رياض غناء بالبيت الذي علقت بابه لوحة من حجر رملي نقش عليها اصل عشيرة مكنيل.

ودفع آندرو السيارة الى ساحة البيت الامامية حيث وقف وكيل اعماله الذي خرج من الظل، وقال:

«هل استمتعت بالرحلة يا سيدي؟».

«كثيراً يا سينكلاير».

ترجل آندرو من السيارة، بينما فتح سينكلاير الباب من جهة غايل، وقد ظهرت الدهشة على وجهه ذي القسمات العميقة والجلد القاسي. وانطلق الولدان صوب الباب الأمامي في الوقت الذي قال آندرو ببساطة، وكأنه يتحدث عن حالة الجو:

«اقدم لك يا مدير العزبة زوجتي غايل».

«زو... ؟».

ولكن، سرعان ما تنبه سينكلاير للأمر، فمد يده ليصافح غايل فيما القى عليها نظرة باردة:

«يسعدني ان القاك يا سيدة مكنيل. لقد احضرت معك طقساً جيلاً».

ضحكت غايل وقد سرها قوله:

«شكراً. انه للطف عظيم منك ان تقول ذلك. لكني افترض انكم لم تشهدوا شتاء على هذه الدرجة من الغرابة والاعتدال لسنوات عديدة».

«صحيح يا سيدتي. فقد كان عندنا السنة خريف وربيع وحسب».

عقب آندرو:

«من الأفضل ان تقول حتى الآن. فمن الجائز ان فصل الشتاء قد تأخر لذلك لا تغرق في التفاؤل».

وما ان دخل آندرو وغايل البهو الكبير، الذي صمم بشكل فرني وعال، حتى قابلت غايل عدداً آخر من الخدم، وبالتالي جرى مزيد من التعارف وتبادل عبارات الترحيب المصحوبة بنظرات باردة. وعلق آندرو:

«سنتحدث عنا الاخبار بعد ساعة من الآن. ارجوك يا ماري ان ترافقي

السيدة مكنيل الى حجرتها».

جاورت غرفتها غرفة آندرو. وتساءلت غايل اذا كان احد قد نام فيها بعد وفاة زوجة آندرو. فمالت الى نبذ الفكرة. ولم ترغب بالتالي ان تنام هي فيها. الا انها لم تقدر ان تطلع زوجها على الأمر. وحست ان كل ما ستعرفه لن يعدو كونه سطحياً لأن زوجها اغلب الظن لن يثق فيها يوماً. وقالت ماري، وهي سيدة سمراء في مقتبل العمر ذات ابتسامة دائمة وصوت لطيف:

«آمل ان تعجبك المناظر من هنا يا سيدتي».

«انها فتانة. والآن، ارجو ان تتركي امتعتي قليلاً لاني ارغب ببعض الوحدة».

«حاضر يا سيدتي».

وتطلعت غايل الى الجبال والمروج وقد انتشرت فوقها الظلال واستحمت باشعة الشمس المتلاشية ولونها القرمزي. ورأت غديرا متماوجاً وبحيرة علاوة على مجموعة من اشجار الصنوبر المغروسة بمحاذاة جنينة معلقة، وبركة سباحة الى يمين المنزل.

ثم استدارت لتتأمل الغرفة الواسعة والمدفأة على نحو مريح بواسطة نظام تدفئة مركزي شأنها شأن سائر اجزاء المنزل. وفيما وقفت هناك تتأمل ما حولها، ادركت للمرة الأولى الاثر البالغ لعملها المتسرع. هل كان كل هذا البذخ من اجلها؟ هل يمكن ان يكون ذلك حلماً؟ او هل تزوجت حقاً؟

وانتقلت عيناها الى الباب الكبير المصنوع من خشب السنديان ونهضت لتجربه. انه موصد. وانحنت، فلم تر مفتاحاً في الجانب الآخر. من الطبيعي ان يتناقل الخدم الحديث. وقد تبلغ الحقيقة مسامع اصدقاء آندرو. واسرعت الى الباب الخارجي فور سماعها قرعاً خفيفاً عليه. ففتحته لتعلمها خادمة شابة وهي تبتسم:

«سيكون العشاء جاهزاً بعد ساعة يا سيدتي».

«اشكرك».

ابتسمت الشابة مجدداً قبل ان تبتعد.

تساءلت غايل عما يجب ان تفعله. فواجبها هو الاعتناء بالصغيرين اللذين تواريا بعد دخولها الى البيت بسرعة. ولكن، متى يأويان الى



الفراش؟ وهل يريدان ان يتناولا العشاء، او هل اهتمت احدى الخادمات بهذا الأمر؟

هل يجب ان تنزل لتتلقى تعليماتها من آندرو؟ هذا هو الحل الوحيد. ولكن، ما ان فتحت الباب، حتى سمعت آندرو يتحرك في الغرفة المجاورة.

وترددت قبل ان تقرع الباب، وتسمعه يجيب بحدة وعصبية، او هكذا خيل لها:

«من هناك؟».

«اردت ان اعرف ماذا يجب ان افعل؟ هل اساعد الصغيرين حتى يدخلا الفراش؟».

لم تفلح محاولته لفتح الباب.

«هل لديك مفتاح؟».

«كلا».

«اذن، تعالي من الباب الآخر».

فعلت ما امرها به. ووجدت بابه مشرعاً. فقرعته. ودخلت. وقالت وهي تحس باضطراب للمرة الأولى منذ قرارها المتسرع بالزواج منه:

«احسبني مكلفة بالاعتناء بالصغيرين».

فحصها آندرو

«عليك في الأوقات العادية ان تقدمي لهما الشاي في ساعة ابكر من هذه طبعاً. وان تضعيهما في السرير. الا ان احدى الفتيات ستقوم بالمهمة الليلة لأن المربية تركتنا منذ اسابيع عديدة. اخبريني. هل اعجبتك الغرفة؟».

استغربت غايل الطريقة التي نظر بها اليها. هل كانت متعبة او... ؟ ووضعت يدها على رأسها للحال مع ان الجرح لم يبرز للعيان. واجابت:

«انها جيدة. شكراً».

وطمأنها كأنما عرف ما دار في خلدها:

«لم نستعمل هذه الغرفة منذ ايام جدتي. وقد رممت هذا الجناح وجددته وانتقلت اليه في السنة الماضية. وارجو ان تشعري بالراحة والطمأنينة يا غايل، واذا احتجت شيئاً، فما عليك الا ان تطلبيه مني».

«سأفعل. اشكرك».

ونهض ليغلق الباب في اشارة لها بالانصراف. فتراجعت الى غرفتها التي بدت اجمل واحلى. وابتسمت لظنها ان من الطبيعي الا تريد استعمال الغرفة التي شغلتها زوجة آندرو المتوفاة.

ولما كانت موراغ تزور اصدقاءها، لم تجد غابل سوى آندرو لمسامرتها. وبعد ان جلسا للعشاء في قاعة واسعة لا توحي بالراحة، تملكها تدريجيا شعور بعدم تصديق ما هي عليه.

اجهدت الوجبة غابل لفرط ما استغرقته من وقت. اما آندرو، فلم يفه الا بكلمات قليلة عندما فرغا آخر الأمر من طعامهما:

«سنتناول القهوة في البهو».

وتصفح آندرو مجلة بينما جلست غابل بلا حراك وهي تشعر بالوحدة والضياع.

وفور انتهائها من رشف قهوتها، استأذنت:

«افضل ان اصعد الى غرفتي».

نظر آندرو الى ساعته وقال:

«الوقت مبكر، لكني اعتقد ان الرحلة انهكتك».

«قليلاً».

ثم نهضت بارتباك. وتمنت له ليلة سعيدة.

زوجة وام... وقفت غابل على المنحدر وقد تطاير شعرها وبدت خائفة والكآبة في عينيها. لقد انقضى شهر على دخولها منزل دنلوكري. بيد انها ما زالت غريبة عن زوجها كما كانت في الأمسية الأولى. زوجة وام. لقد قالت هيذر انها لن تنعم بشيء من ذلك. وها هي كلماتها تبدو صائبة الآن.

صحيح ان روبي ازداد منها قرباً، لكن شنا كانت صعبة المراس كما قال والدها، وحافظت على برودتها وانطوائها. وبالنسبة الى موراغ... كشفت ابتسامة غابل المليئة بالمرارة والحزن افكارها. فموراغ تكرهها. ولا تبذل اي جهد لاخفاء كراهيتها لها.

وفي حين حذرت غابل من موراغ، فانها لم تحضر لمقابلة حماة آندرو، التي سمح لها بدخول البيت لزيارة احفادها مرة في الاسبوع على الأقل. فقد كانت السيدة دافيز بقامتها الطويلة وعظامها البارزة وملامحها القاسية وشعرها القاتم السواد نوعاً عنيفاً وبغيضاً من النساء. ولم توفر فرصة الا



واظهرت فيها كرهها لغابل، التي تساءلت كم سيمضي من الوقت قبل ان تجيز على الرد عليها. فهي بالرغم من طبيعتها المسالمة وتجنبها للشر، تثور على نحو عنيف عندما تستفز.

«هل عرفت آندرو منذ وقت طويل؟».

هذا اول سؤال طرحته السيدة دافيز على غابل بعد ان تركهما آندرو ليتعارفا وجهاً لوجه وبعد وصول غابل الى منزل دنلوكري بيومين. فاجابت غابل متلعثمة:

«ليس الزمن بطويل».

سلطت اليها عينا السيدة دافيز السوداوان المتعجرفتان نظرة احتقار:

«كم هي المدة؟».

«الحقيقة اني تزوجت آندرو يا سيدة دافيز لانه طلب الي ذلك، ولأني اقنعت انه بوسعي مساعدة طفليه».

«ولديّ ابنتي؟».

لم يكن بوسع غابل الرد على هذا الكلام. فظلت ساكتة. واستطردت السيدة دافيز:

«وهل استطعت مساعدتهما؟».

«لم يمض على وصولي الى هنا سوى يومين. والزمان وحده سيثبت قدرتي على مساعدة روبي وشنا».

برز طيف ابتسامة خفيفة مليئة بالسخرية على فمها النحيل القاسي:

«وماذا عن موراغ؟ ماذا تظنين انك ستفعلين بها؟».

«موراغ صعبة المراس. لكني آمل ان اصادقها في المدى البعيد».

لقد مر شهر على هذا الحوار. وها هي غابل الآن تقر بصحة اعتراف آندرو انه ليس بالامكان اصلاح موراغ.

وفجأة ظهرت الفتاة فوق مرتفع صخري وهي تركب حصاناً جميلاً وتقوده بسهولة ومهارة. ثم انحدرت عن المرتفع وقد تدلى شعرها الذهبي الطويل على ظهرها بلا نظام. وقد ... وبالحال وضعت غابل يدها على رأسها لترتب شعرها المتطاير عن جبينها والذي كشف جرحها

وتوقفت الفتاة وهي على ظهر الجواد. وبدت متكبرة بطبيعتها المتمردة، فيها العناد. [illegible] وجهها المحمر في الصباح، وقالت ساخرة

والمرح يلتمع في عينيها:

«عسى ان تكون زوجة ابي بخير بعد ظهر هذا اليوم».

ردت غايل بغضب:

«انني بخير يا موراغ».

اكفهر وجه الفتاة:

«يا لك من سيدة مصون يا حضرة جرم لورد دنلوكري المتعالية».

نظرت غايل ثانية الى موراغ وقالت بسرعة:

«قولي لي لماذا تعاملينني بهذه الوقاحة. الا تعلمين ان من الممكن ان نكون صديقتين؟».

عقدت الفتاة حاجبيها الأشقرين:

«اصادقك؟ انا اشكر سخاءك. لكني لا اجهد نفسي في اكتساب الاصدقاء».

وترجلت موراغ عن الحصان برشاقة حين لمحت سيارة لاندروفر عند منعطف الطريق الذي يلف العزبة الشاسعة. وقالت:

«سينكلاير. اطلب من احد العمال ان يعيد رستي الى الاصطبل».

«حاضر يا آنستي».

وقللت سيارة اللاندروفر سرعتها. واختفت على الفور وراء منعطف آخر. وراقبت موراغ بعبوس السيارة حتى توارت. وصاحت، وهي تهبط التل وتجتاز الممر المؤدي الى المنزل بسرعة من دون ان تلتفت الى غايل:

«سأسمع هذا الوغد كلاماً يرضيه».

لحقت غايل بموراغ على مهل وهي تشعر بانقباض في معدتها. ماذا سيحل بالفتاة وهي تعامل جميع من في العزبة بوقاحة، وتعاشر هذا النمط من الاصدقاء والاصحاب، وتعيش على هذه الطريقة...؟ لقد جربتها غايل. ولو اظهرت موراغ اي استعداد للتجاوب معها، لاستمرت في بذل الجهود. الا ان غايل تقر الآن بالهزيمة امام موراغ.

ولما وصلت غايل الى المنزل، سمعت اصواتاً مرتفعة تنبعث من قاعة الجلوس. فوقفت تتنصت قليلاً، فسمعت موراغ تصيح:

«انا اتحدث الى سينكلاير بالطريقة التي تعجبني. فهو ليس الا خادماً، وعليه ان يعرف مكانه هنا».



«عليك ان تظهري للخدم الاحترام نفسه الذي يظهرونه نحوك...».

«انهم لا يبدون نحوي اي احترام...».

رفع آندرو صوته بطريقة مهددة:

«لا تقاطعيني اثناء الحديث. حاذري غضبي يا موراغ. فانا على اتم الاستعداد لارسالك بعيداً».

اطلقت الفتاة ضحكة ساخرة مدوية:

«الى اين؟ الى مدرسة داخلية؟ تعلم اني طردت من مدرستين حتى الآن. وسأعمل على ان اطرد من الثالثة بأقصى سرعة. فليس بوسعك او بوسع اي شخص آخر ان يسجنني. هل زوجتك المغرورة المدعية هي التي ترغب في ازاحتي من طريقها...؟».

اخرست موراغ حالاً. وجفلت غايل كأنما هي التي صفعت. ففتحت الباب متسائلة:

«آندرو، ارجوك... هل... هل يمكنني التحدث الى موراغ؟».

سكتت غايل وقد ارعبتها نظرة آندرو الغاضبة والملية بالدهشة، بينما سترت موراغ يدها بوجهها. الا ان آثار صفعة آندرو لم تختف كلياً. وزمجر آندرو غيظاً:

«اخرجي. هيا اخرجي. واهتمي بشؤونك».

صعدت غايل السلم مرتجفة. لقد عرفت خطأها منذ تفوهت بكلماتها الأولى. فآندرو عاجز عن التأثير على موراغ بالرغم من شخصيته القوية. ولذلك يجب ان يقاسي الذل والهوان الكئيب وحده سراً. ولا بد ان يستشيط غضباً ان رآه احد في لحظات معاناته. ولم تلبث غايل ان اكتشفت حنقه عليها، اذ شرع بابها على مصراعيه بعنف في غضون دقائق معدودة، واقتحم آندرو غرفتها وقد اكفهر وجهه سخطاً وتطاير الشرر من عينيه وهو يركز نظره عليها. فتلعثمت وهي تتراجع:

«آسفة يا آندرو. كان يجب الا اتدخل. ولكن...».

صرخ بصوت حاد كلذع السياط:

«هل تجسرين على تكرار فعلتك هذه؟ سأطلب مساعدتك ونصيحتك عندما احتاجها. والى ان يحين الوقت، الزمي مكانك».

ردت بصوت خفيف متهدج:

«اجل ... اني آسفة. لقد ظننت ... ظننت اني بامكاني ان ... ان ساعدت».

«اخبرتك اني عندما احتاج مساعدتك، فلن اتردد بطلبها. هل تفهمين كلامي ؟».

اطرقت غابل بحزن من دون ان تنبس ببنت شفة. ثم شاهدت طيفها في المرآة، ولاحظت ان وجهها حاكى بلوزتها بياضاً.

اغلق الباب. وجلست غابل على السرير ويدها على قلبها الذي خفق بشدة.

نهضت غابل بعد قليل، واعادت تسريح شعرها. وكان عليها ان تحضر الاولاد من المدرسة بعد مدة قصيرة. فاستقلت السيارة الصغيرة ثم قصدت القرية لشراء بعض الحاجيات. فابتاعت لنفسها سترة صوفية وتنورة من قماش التويد. وجذبت بعض ازهار الربيع المعروضة في واجهة احد المتاجر نظرها. فاشترت لنفسها باقة كبيرة وضعتها على المقعد المجاور لها. وفي طريقها الى المدرسة، كانت تنظر اليها فتنتعش نفسها وترتفع معنوياتها. فالازهار دائماً تريحها، وهي لا تشعر بالتعاسة عندما تجد ازهاراً في الغرفة حولها.

خرج الاولاد من المدرسة، واسرعوا الى الجلوس على مقعد السيارة الخلفي. فعرض روبي بفخر بطاقة الفصح التي اعدها.

«انظري ماذا صنعت. لقد كتبت عليها «الى امي وابي» كما امرتني المعلمة».

«هذا رائع».

دب القلق في كيان غابل وهي تتناول البطاقة وتتفحصها وتقرأ الكلمات المكتوبة داخلها بخط انيق. ثم سألت شنا:

«الم تعدي واحدة مثلها يا شنا؟».

اجابت الطفلة بسرعة:

«لم افرغ من اعدادها. لقد كان علينا ان نترك بطاقاتنا الى الغد لأن دهانها لم ينشف بعد».

«لا شك انها استعملت كمية كبيرة من الدهان. فأنا نفسي كنت افعل ذلك عندما كنت صغيراً. وكل الاطفال يستعملون كمية كبيرة من



الدهان».

«لست طفلة».

«لا بد ان تكوني طفلة ما دمت في روضة الاطفال».

علقت غابل بلطف وهي تدير السيارة:

«ان شنا في السنة الاولى يا روبي. لكنها ليست طفلة».

«ستبلغ السادسة عما قريب».

اعترض روبي:

«بل بعد مدة طويلة. فعيد ميلادك يحل في تموز، اي اثناء عطلتنا الصيفية».

صمتت شنا، وحاولت غابل طوال الرحلة ان تخرجها عن صمتها، فاخفقت، وعقدت جبينها لحظة. ولكن، لم يكن لها غنى عن الصبر خصوصاً ان آندرو نفسه اعترف ان شنا طفلة عنيدة.

عندما اوقفت غابل السيارة في ساحة البيت الامامية، كانت موراغ تجلس على احدى درجات السلم المبنية من حجر ابيض وهي ترتدي بنطالاً لركوب الخيل. اما روبي وشنا، فاسرعا نحو الاراجيح والروضة فيما اخرجت غابل امتعتها والازهار من سوسن وزنبق ونرجس وهي تتأملها. وبينما حاولت ان تتجاوز موراغ لتدخل البيت، سألتها الفتاة بوقاحة:

«من اشترى هذه لك؟».

وقفت غابل متبسمة للفتاة:

«اشتريتها بنفسي. هل ترغبين ببعضها؟».

«لا تكوني على هذا القدر من الشهامة. فنحن نملك ثلاثة بيوت زجاجية مليئة بازهار افضل بالضرورة من ازاهيرك الصغيرة هذه».

اجابت غابل بتروٍ وهي تداعب باصابعها اللطيفة زنبقة صفراء وبرتقالية.

«ليست الازاهير بالضرورة صغيرة».

«اذا كنت قد اشتريت هذا النوع من الازهار، فاعلمي ان والدي لا يسمح بادخالها الى البيت. فهو لا يطيق ما هو حقير وصغير».

«اذا لم اقارن هذه الازهار بغيرها، فلا يمكنني اعتبارها حقيرة او صغيرة، اليس كذلك؟».

«تقارنينها بماذا؟».

«بالأزهار الجميلة في البيت الزجاجي طبعاً».

رمتها الفتاة بنظرة حادة اخرى فيما وقفت وهي تقترب منها وتقول:

«لا شك ان احداً اشتراها لك. فلو كنت تريدين ازهاراً لامكنك قطع اكثر عدد منها من البيت الزجاجي. لذلك يبدو واضحاً ان احداً قد اشتراها لك».

انقطعت موراغ عن الكلام، بينما حافظت غابل على صمتها. ثم عادت تقول:

«من هو؟ هل هو وسيم؟ هل هو اسكوتلندي؟ من جهتي، انا افضل الانكليز...».

«الا تخجلين من نفسك؟».

«لماذا اخجل؟ انا لست متزوجة مثلك... ولو كنت زوجة حسب القانون وبالزعم فقط...».

«انت لا تعرفين ذلك يا موراغ. الذلك ارجوك الا تكرري مثل هذا الكلام».

اتسعت عينا موراغ الكبيرتان:

«لم يفتح الباب يا سيدة مكنيل منذ قدمت الى البيت».

تطلعت غابل اليها غاضبة:

«هل تدخلين غرفتي؟».

ردت موراغ بلا حياء:

«احب ان اعرف ماذا يجري من حولي. فقد ضاع هذا المفتاح منذ سنوات عديدة، ولم يجر تبديله. فوالدي بالطبع قد يأتي من الباب الخارجي لو شعر برغبة شديدة تحوك. لكنه لا يتحمس».

لم تجب غابل بشيء، بل اكتفت بالنظر الى موراغ باشمئزاز وهي تستأنف حديثها:

«حتى ولو كنت زوجة بالزعم، فلا يحق لك ان تتلقي هدايا من رجل آخر. اخجل من نفسي؟ يعجبني قولك. انت التي يجب ان تخجلي من نفسك وانت التي تسمحين لرجل غريب بشراء زهور لك».

نطقت كلماتها الاخيرة وقد تعمدت ان ترفع صوتها علماً بان كلماتها لم



تكن ضرورية لأنها رددتها قبل دقائق بالنبرة نفسها. فتطلعت موراغ وراء غابل التي استدارت وهي تشعر وخزاً غريباً في جسمها. فرأت آندرو يقف على بعد خطوات منها.

وقالت:

«قلت لك اني اشتريت الازهار بنفسي».

وعلت وجنتيها حمرة لا يمكن وصفها. فما كان من آندرو الا ان لاحظ ذلك، وطغا العبوس على قسماته القاسية فجأة. ولحق بغابل الى القاعة. وسألها وهو يراقبها عن كثب:

«لدينا ازهار كثيرة في البيت الزجاجي».

هل كان يفكر بزوجته المتوفاة؟ وهل تساءل اذا كان التاريخ يعيد نفسه؟

«اعرف ذلك يا آندرو. ولو فكرت بالأمر لانتظرت حتى عودتي لاجمع الزهور. لكني رأيت هذه الزهور في المتجر ورغبت في شرائها فوراً».

بدا تبريرها ضعيفاً حتى في نظرها، فعضت شفتها وتابعت:

«اظن ان هذا يسمى الشراء العفوي. وهذه الازهار جميلة لذلك وضعتها على المقعد الأمامي حتى اراها طوال الوقت».

وشعرت بسخافتها. فاشتدت حمرة الخجل في خديها. وكذلك عبوس زوجها. الا ان نبرته كانت هادئة ورقيقة وهو يقول:

«ارجو الا تتأخري عن شراء الزهور يا غابل ان انت شعرت برغبة في ذلك. على اننا ننتج ما يكفينا من الأزهار بقصد استعمالها في البيت».

احست غابل بغصة في حلقها، بينما لان زوجها قليلاً وقد نسي، على ما يبدو، ذلك المشهد الذي دفعها بصورة غير مباشرة الى ابتياع الازهار وعصفت بغابل رغبة جامحة بالتحدث اليه مثل اي زوجة اخرى، وفي ان تشرح له تعاستها وخوفها من المستقبل. وبأن الازهار انعشت آمالها من جديد. الا انها عجزت لانهما لا يزالان غريبين عن بعضهما. وهكذا اقسمت وهي تتمتم انها لن تشتري الأزهار ثانية، وتابعت حديثها رداً على نظرته المستفسرة وقد التقت عيناها بعيني زوجها وهي لا تدري شيئاً عن بريقهما واهتزاز شفتيها:

«كان ذلك تصرفاً سخيفاً من قبلي لا استطيع له تفسيراً».

ولما تذكرت قول موراغ انه لا يسمح بادخال هذه الأزهار الى البيت،

سألته:

«هل يمكنني ان اضعها في البهو؟».

عبس ثانية:

«بالطبع يمكن ان تضعيها في البهو. فأنت لست بحاجة لأن تسألي ذلك يا غايل».

ابتسمت وقد زالت شكوكها. ووجدت نفسها تردد لحناً قصيراً وهي تعبر القاعة باتجاه مخزن اقيم في جانبها لتحضر مزهرية تضع فيها ازهارها.



# ٣- فرح عابر

مرّ روبي وشنا امام آندرو وغايل اللذين لحقا بهما على مهل. وكانت تلك المرة الاولى التي يرافق فيها آندرو غايل عندما تصطحب الصغيرين في نزهة بعد ظهر الاحد. وقد سرّ الاولاد، وأدهش غايل بقراره:

«ساحضر معكم».

هتف روبي وقد رفع وجنتيه الموردتين وابتسم بفرح كأنه يشكر والده:

«ان ذهابك معنا ممتع ومسلٍ يا ابي».

أما شنا، فقالت لغايل وهي تبتسم لها:

«احب ان يرافقنا ابي».

وكانت غايل قد بدأت تتغلّب تدريجياً على حالة الانطواء والشك التي انتابت الطفلة. ولم تضع ثقتها الكاملة في غايل، بل اعربت دائماً عن عدم رغبتها في اصطحاب زوجة والدها وروبي في نزهاتهما عبر الوديان ومراعي الطيور. ولم تتأكد غايل من محبة الطفلة لها الا ساعة ايوائها الى الفراش.

وبدا أن النصر قد عقد لغايل ذات مساء حين استرجعتها شنا اليها اثناء مغادرتها غرفة نوم الطفلة:

«ماما...».

استدارت غايل وقد غمر قلبها الامتنان والفرح:

«نعم يا حبيبتي».

«خرج الغطاء من موضعه لأني تحركت».

«اذن، علي ادخال غطائك الى مكانه ثانية، أليس كذلك؟».

صمتت شنا برهة بينما حدّقت الى غايل بعينيها الزرقاوين الكبيرتين

اللتين تشبهان عيني آندرو:
«هل انت امي حقاً؟».
«لست امك الحقيقية يا شنا. وانت تعرفين هذه الحقيقة، اليس كذلك؟».
«بلى».
«امرني والدي مرات عديدة ان اناديك ماما. الا اني لم ارغب في ذلك اول الامر. اما الآن، فاود ان افعل مثل روبي».
انحنت غايل فوقها لتقبلها وقد خانتها الكلمات. وظنّت ان جهادها انتهى... غير انها سرعان ما ادركت خطأها. فعلى رغم ان شنا لم تجد صعوبة في مناداة غايل «ماما» منذ ذلك الوقت، فانها كانت احياناً تعود الى انطوائها وسلبيتها. وعرفت غايل بالتالي ان عليها متابعة تعاملها الحذر مع شنا، وممارسة اقصى درجات ضبط النفس نحوها ان هي ارادت تحقيق رغباتها.
قطع صوت آندرو على غايل تأملاتها اذ صاح في وجه روبي الذي قرر تسلق شجرة:
«روبي! هيا انزل فوراً».
اطاعه روبي، وقفز عن الغصن المنخفض. ثم وقف ينتظرهما. ولما وصلا قال مازحاً:
«لم يكن عليّ اي خطر من السقوط».
«ربما. غير انك ما زلت صغيراً جداً على تسلق الاشجار».
وكشّر بقصد خداع آندرو:
«ربما سمحت لي ماما ان اتسلق الشجرة لو لم تكن معنا».
علّقت غايل بتصلب:
«لم افعل شيئاً من هذا».
ردد روبي بلطف ودعابة:
«حسناً. سانتظر حتى اكبر اذن».
تجولوا اولاً في منطقة تعلو عن الطريق الحيوية للتنقل بين هذه المراعي الواسعة، الا ان آندرو استدار الآن. وبدأوا بالسير نحو بحيرة شاراغ الصغيرة الجميلة والمحاطة باشجار البتولا، التي التمعت جذوعها تحت



اشعة الشمس الساطعة، وقابلت غصونها المثقلة بالبراعم المتفتحة.
وصاح روبي:
«انظر الغربان ذات الاعراف يا ابي. الن تطلق النار عليها؟».
«من دون ان احمل بندقية؟».
«كان يجب ان تحضر البندقية معك لاننا لا نريد هذه الغربان».
وبينما تكلم روبي، انطلقت النار من الوادي. فسألت غايل فيما توقف الجميع:
«ما هذا؟».
اجاب آندرو بعدم اكتراث:
«يبدو ان مريديث هبط الوادي ليقضي على احد الاعشاش».
«عش؟».
«احد اعشاش الغربان ذات الاعراف التي تبنيها هنا في الوادي. وهي فرصة مؤاتية للتخلص منها. ونحن لا نسمح لهذه المخلوقات بمضاعفة نسلها اذا امكننا ذلك».
قال روبي باندفاع:
«اتمنى لو ارى او اعلم اذا كان مريديث قد اخرج كل بيوضها».
«لا شك انها فقست يا روبي. واحسبه قد قتل احد الوالدين ليتمكن من القضاء على الفراخ...».
شهقت غايل وقد تصورت مريديث وهو يخنق الفراخ من دون ان يتألم او يندم:
«هذا ظلم... اقصد قتل الفراخ».
تحول آندرو اليها وهو يبتسم متفهماً:
«احسب ان شعورك سيختلف لو رأيت نعجة مريضة ومتعبة وقد فقئت عيناها.
ان الحياة قاسية وصعبة في منطقة الهايلاند يا غايل. وقد يبدو لك اننا قساة وغلاظ القلوب. لكنك سرعان ما ستدركين اننا لا نقتل رغبة في القتل. ولا يمكن لصياد جليل بلقبه ان يسمح لفراخ الغربان ذات الاعراف بالعيش ان هو عثر على عشها».
لم تجب بشيء. فساروا صامتين بعض الوقت. ثم اشارت بيدها وهي

يهمس كمن يحدث نفسه:
«هذا كله لك؟ اني لم اكتشف جزءاً من مئة من املاكك حتى الآن».
«امامك وقت طويل».
تكلم اندرو بلهجته الفصحة المعهودة، على رغم رقة مظهره ولينه اليوم.
للمرة الأولى تكشف ذاته وبسط جناحه، فأحست غايل بخفقان قلبه
وبلغا ضفة البحيرة. فسألت غايل عن المبنى الصغير القائم عند ضفتها اليسرى.
«انه كوخ للصيد».
«هل تصطاد في البحيرة؟».
اجاب:
«هل تصطاد السلمون؟».
سمعها روبي على الفور:
«يعيش سمك السلمون في النهر».
واضافت شا:
«هم يقفزون. يجب عليك ان تشاهدي سمك السلمون يقفز».
سألت غايل وهي ترفع نظرها الى زوجها:
«هل هي في نهرنا... نهرك؟».
رد وهو يدير رأسه نحوها ويشدد على كلمة «نهرنا»:
«أجل. انها في نهرنا. الا ان الدوق يحفظ بحقوق صيد السلمون».
«هل يملك كل الاراضي الممتدة على ضفة النهر الاخرى؟».
«أجل. فالنهر يشكل الحد الفاصل بين أراضينا».
«هل يسعه ان يعرف اذا اصطدت السلمون من النهر؟».
عقد آندرو حاجبيه:
«الارجح انه لا يعرف. لكننا لا نتعود سرقة السمك».
احمرت خجلاً. غير ان مزاجه المرح دفعها للقول:
«في هذه الايام. سيرة الاسكوتلنديين في هذا المجال سيئة وخفيفة»...
ضحك آندرو، فالتقطت غايل انفاسها وتذكرت قول لويز انه اكثر الشبان الذين رأتهم اناقة.
«كنا في احدى حقبات تاريخنا الطويل نعيش في حالة من الحروب القبلية



المتواصلة، وكنا نفضل ان ننهب جيراننا. والاصح اننا كنا نجتاز الحدود لننهب الاثرياء الانكليز العاجزين».
ردت غايل مقهقهة:
«هذه ليست سيرة حسنة».
ذكرها آندرو:
«انت تتكلمين عن حقبة موغلة في التاريخ البعيد».
«هل كنتم فعلاً اشراراً كما يصوركم المؤرخون؟».
اجاب معترفاً:
«اظن ذلك. فانت تعلمين ان اسكوتلندا تطورت في ظل نظام العشائر. وكان شيوخ القبائل المتحدرون من أعرق الاسر النبيلة في البلاد هم انفسهم متوحشين وهمجيين على رغم صلتهم وشجاعتهم. وقد اظهرت الثارات المتبادلة اسوأ ما في نفوس المحاربين. ولم يبالغ في تصوير الاعمال الدموية والفظائع المرتكبة».
ومضى يشرح التاريخ وغايل تصغي اليه باهتمام شديد. وتفجر التفاؤل في داخلها وهي تفكر كم بدا مختلفاً اليوم. لو أن المودة تظل جامعهم، ويبقى بامكانها ان يتنزها مع الاولاد ويتسامرا معهم... وتطلعت شا الى والدها بتمن
«هل يمكننا ان نسير بمحاذاة الغدير؟ لا احب ان ارجع الى البيت الآن».
كانت الشمس قد بدأت تنحدر عبر الجبال الموحشة والمنعزلة، وقد اصطبغت المراعي بلون احمر وردي. فقال آندرو:
«أليس بوسعنا ان نطيل البقاء كثيراً في الخارج. فبرودة الجو تشتد عندما تغيب الشمس».
وتردد قبل ان يضيف:
«حسناً. بامكاننا ان نسير بعض الوقت بمحاذاة الغدير».
وأزبد الغدير الصغير وأرغى، بينما اشتدت رطوبة الارض عند ضفته.
«انا تولد الكهرباء بواسطة الغدير، أليس كذلك يا بابا؟».
ابتسم آندرو لابنه مطرقاً، بينما امسك روبي يد غايل وقال:
«ينحدر الماء في الحفرة... تعالي أريك المكان. هل ترين الانبوب

الداخل في جوف الارض؟ انه متصل بمحطة التوليد التي شيدها بابا».
أنهى روبي كلامه بفخر. قـالت غابل:
«هل انت بنيتها فعلاً؟».
«لم اعمل بمفردي، بل ساعدت في البناء».
تكلّم آندرو بعفوية وكأنّ هذا العمل لم يكن فوق طاقة رجل بمستواه.
ولما رجعوا نحو البيت، بدأت غابل تفكر بقصة حياة زوجها، وفي اي نوع من الرجال هو. فقد تزوج في مطلع شبابه بامرأة جميلة، لا تزال صورتها معلقة في البهو ولدت له طفلة بعد سبعة اشهر، عندئذ تعاظم يقينه بخيانة زوجته له، الا انه سامح هجرها له واستردها مرتين مما يؤكد انه يعتبر الزواج رابطة أبدية وملزمة في السراء والضراء.
فكان من الطبيعي ان يكره النساء بسبب خيانة زوجته المستمرة، وعناد ابنته وتماديها في خرق اعراف العفاف والطهارة والامانة. على ان غابل لم تقتنع انّ آندرو يكره النساء. فهو ليس ظالماً حتى يتهم كل النساء بالغدر والخيانة. ولا بد ان يشعر بنتيجة الخزي وخيبة الامل الى جانب الذل الناجم عن سلوك موراغ المشين والمرارة التي أدّت بدورها، حسب رأي غابل، الى تحفظه الظاهر وقسوته الدائمة.
وحين اقتربوا من المنزل الرمادي الكبير المستحم بنور الشمس الغاربة وأشعتها القرمزية والذهبية والبرتقالية، قال روبي:
«هل ترافقنا ثانية يا بابا؟ فلقد قضينا وقتاً ممتعاً».
«أجل يا روبي. سأرافقكم الاحد المقبل اذا كان الجو لطيفاً».
استلقت غابل في سريرها الابيض الكبير وقد التمعت أطرافه النحاسية المزخرفة في وهج المصباح الاصفر الموضوع على المنضدة بجانبها. وتأملت سعادتها في هذا النهار متذكرة احداثه.
اليوم تحدث آندرو اثناء الغداء، كما سمح على غير عادته للاولاد ان يتحدثوا. واثر الوجبة العائلية الحميمة، اعلن آندرو عزمه على مرافقتهم في نزهة الاسبوع داخل جزء من الجزيرة. وقد عجزت غابل عن اخفاء فرحتها. ورأته يتطلع اليها متفحصاً ملامحها، فوضعت يدها على صدغها آلياً.
واهتمت غابل بالجرح واثره للمرة الاولى... فموراغ قالت ذات مرة



ان آندرو لا يطيق ما هو حقير.
وتناولوا الشاي بعد رجوعهم من النزهة. وأذن آندرو مجدداً لروبي وشنا ان يتحدثا، بينما غرق هو في مقعده وأصغى بشغف الى كلامهما. وغالباً ما لتفت الى غابل وابتسم لها كلّما تقابلت عيونهما.
آه، لو يعيشان هكذا دوماً...
تثاءبت غابل وقد شعرت بالنعاس. فاطفأت النور وادارت رأسها فوق المخدة.
غير أنهما لم ينعما بالسعادة التي عرفاها في ذلك الاحد الذي لا ينسى. فقد عادت موراغ من زيارتها لاصدقائها يوم الاربعاء التالي، وعاد معها الى مسكن دنلوكري جو محموم تأثر به الخدم. وحلّ العبوس على وجوههم محل الابتسامة كلّما التقوا الفتاة، التي بدا كأنها تصيب جميع سكان الجزيرة بالكآبة.
رجعت غابل يوم الجمعة من المدرسة- بعد ايصالها الصغيرين اليها- وسط وابل من المطر وضباب كثيف حجب الرؤية بصورة كلّية تقريباً. فوجدت أنّ موراغ قد استيقظت قبل الأوان، وجلست في البهو الخلفي الصغير تدخن سيكارة وتحتسي بعض الشراب وتقول:
«لو كنت املك بعض المال، لسافرت».
«مع من تسافرين؟».
«هل فعلاً تريدين ان تعرفي يا سيدة مكنيل؟».
«لست اريد ان اتطفل يا موراغ. وانما احاول محادثتك».
«كم يزعجني تظاهرك بالطيبة والكياسة لأني واثقة انك لست في الحقيقة خيراً منا».
ثم بدأت موراغ تشتم. فاستاءت غابل. فضحكت الفتاة وهي تمجّ سيكارتها بتهكم:
«يا للورع الذي لا يعدو ان يكون قناعاً كاذباً».
وانحنت الفتاة في مقعدها الى الامام، وهي تتطلع الى غابل بعينين ضيقتين، وتحدثت بصوت تعمدت ان تخفضه:
«اذا لم تحصل الزوجة على ما تريد من زوجها، فانها تبدأ بالبحث عن غيره».

«يبدو انك شديدة الاهتمام بحياتي الخاصة يا موراغ. فلماذا؟».
«أؤكد لك ان ليس بوسعك خداع ابي».
«هلا اوضحت قصدك؟».
«انتبهي. فهو كثير الشكوك في النساء. ولا بد ان يعرف فوراً ان انت صادقت رجلاً آخر، هذا اذا لم تكوني حذرة. وامي، هذه المرأة المجنونة لم تراع مبدأ الحذر. اما انا فسأكون اكثر منها حرصاً وانتباهاً».
ابيض وجه غايل. وأحست الألم في جسمها، وقد حزنت على الفتاة. فهل الذنب ذنبها في كونها بغيضة؟
«هل تخالين انك ستجدين من يتزوجك ان بقيت على هذا الحال؟».
«اشك في اني سأتزوج اذ بوسعي الحصول على متعة كبيرة في عزوبيتي».
«موراغ، لماذا تتخاصم؟ اذا كنت ترغبين بالسفر، فبامكاني ان اسأل والدك اذا كنا نستطيع ان نسافر جميعاً اثناء عطلة روبي وشنا المدرسية. فهل يعجبك اقتراحي؟».
«هل تريدين ان اسافر معك حتى اسمع عظاتك المليئة بالنفاق، واتضايق من شقيقيّ المزعجين؟ الارجح اني لن افعل. بل سأذهب بمفردي، وعلى الاقل مع صديق اختاره بنفسي».
علقت غايل بجفاء اشد:
«لن يعطيك والدك اي درهم للسفر».
«لعله سيسر باعطائي المال عندما انتهي من حديثي معه».
«الافضل ان تسجني داخل غرفة موصدة الابواب».
«الحقيقة ان والدي جرب ذلك مدة اربعة ايام. فاتلفت محتويات المكان. وكلفه ترميمه واصلاحه مبلغاً كبيراً من المال. وهو اذكى من ان يكرر خطأه».
«هل تعتقدين فعلاً انك تستطيعين الاستمرار في تحديك له؟».
«ماذا يمكنه ان يفعل ازاء ذلك؟».
«بامكانه ان ينبذك كلياً. هل خطر ذلك على بالك؟».
«انه لم ينبذ امي ابداً...».
قاطعتها غايل بحدة:
«لا تذكري امك في حديثنا يا موراغ».



«من الطبيعي ان تكرهي ذكر اسمها او التحدث عنها لان طيفها يقضي على كل امل لك بالمستقبل. لقد احبها والدي حتى [illegible]، وسيحفظ ذكراها الى الابد».
توقفت موراغ قليلاً وهي تراقب قسمات غايل:
«أحسب ان بعضهم اخبرك عنها».
اندفعت غايل نحو الباب وفتحته:
«انا لا اتحدث عن امك يا موراغ».
«من الواضح ان احداً اخبرك عنها. لقد استرجعها والدي مرتين. مرتين... الا يدل ذلك على انه احبها حتى [illegible] لقد كانت جميلة فاتنة».
تحولت غايل نحوها:
«ماذا تقصدين؟».
«لا شيء اكثر مما قلته».
تنهدت غايل بارتياح اذ امتقع لون موراغ:
«كانت والدتي جميلة وخالية من النقائص. ولذلك احبها والدي. وقد قلت لك انه لا يطيق ما هو حقير».
وحاولت موراغ التحدث عن صورة امها. غير ان غايل خرجت وهي مرفوعة الرأس وقد ارتعشت شفتاها فيما صعدت السلم الى غرفتها الهادئة. الحقيقة ان طيف السيدة مكنيل قضى على آمال غايل بالمستقبل. فآندرو احبها... وقد استردها مرتين...
كلا. ان طيف زوجته الدائم الحضور لن يؤثر على حياة غايل في اي حال... ولكن، لماذا شعرت بهذا الثقل يجثم على صدرها؟ لقد احست في اعماق ضميرها فراغاً يشبه ذاك الذي يشعر به من يتسكع في بحثه عن امر غامض يجهله.

## ٤ - تلاحقها عيناه

نشب خلاف آخر. فحاذرت غايل الدخول فيه. غير انها سرعان ما عرفت سببه اذ صعدت موراغ الى غرفة نوم الاطفال حيث كانت غايل تقلب بعض الملابس لترسلها الى المعرض الخيري. وكان وجه موراغ محمراً.

«اني اكره هذا الرجل الخسيس البخيل. فهو مع كل ثرائه يرفض ان يعطيني بضع مئات من الجنيهات».

«ربما توافر لك حظ اكبر بالنجاح لو تصرفت بطريقة مختلفة».

«ماذا؟ يبدو ان نصائحك لا تنفذ. فارجو ان تزوديني ببعضها».

«لست اطيق المزاح. فاذا لم يكن لديك شيء مفيد تقولينه، فارجو ان تتركيني وعملي».

«من تظنين نفسك حتى تكلميني انا موراغ مكنيل بهذه الطريقة؟».

«اعرف انك موراغ مكنيل. لكني مع الاسف لا احكم على الناس من جهة وضعهم او طبقتهم الاجتماعية، وانما من جهة سلوكهم تجاه الآخرين. اما انت، فتظهرين الخسة تجاه الناس عموماً، وتجاهي انا خصوصاً رغم محاولاتي المتكررة لمصادقتك. فقد رغبت مخلصة ان اكون صديقتك، لكنك ابيت دوماً. ففرغ صبري».

«بوسعي ان اضعك الآن».

«لا انصحك بذلك يا موراغ. واذكري اني طلبت اليك الخروج».

«ساخرج متى شئت. فهذا بيت ابي، وانت لست سوى خادمة متميزة ومتطفلة».



ثم اخرجت موراغ علبة سجائر من جيبها واشعلت واحدة، ونفثت دخانها في وجه غايل مقهقهة:

«سألتك نصيحة حول حاجتي الى المال».

تجاهلت غايل سؤالها. فصاحت موراغ بحدة:

«اجيبيني. كيف تخدعينه؟ انه يغدق عليك المال بالقناطير، فيما لا يمنحني ولو درهماً».

«انا احصل على مخصص شهري مثلما تفعلين على ما اظن. غير اننا نختلف على طريق الانفاق».

قالت موراغ:

«اود ان اعرف كم تقبضين. وهل تدخرين لئلا تمس بك الحاجة بعد ان يطردك حين يتوقف اعتماد روبي وشنا عليك؟».

ولما لم تتكلم غايل، كررت موراغ سؤالها:

«هل تدخرين، وتسعين وراء الكسب؟».

«انا ادخر لأني بطبيعتي اقتصادية».

واغلقت غايل الدرج. وحملت كومة الملابس المكدسة على المقعد. ثم غادرت الغرفة وكلها انتباه لنظرة موراغ المخيفة.

وفي طريقها الى المدرسة لاحضار روبي وشنا، اودعت غايل الملابس في المعرض الذي يقام دعماً لاعمال البر والاحسان. فشكرتها السيدة ستيورات المسؤولة الاولى:

«شكراً جزيلاً على هذه الملابس الجميلة. احسبك في طريقك لاحضار الصغيرين. فهل لديك بعض الوقت لتناول فنجان شاي؟».

«هذا لطف منك. لكني ساصل في الموعد. اعدك ان اتناول الشاي عندما احضر الالعاب».

«شكراً يا سيدة مكنيل. واني آمل تشريفك».

وعند عودة غايل الى البيت مع الصغيرين، لم تجد موراغ. وبعد ساعة سمعت هدير سيارة، فاتجهت الى النافذة فرأت موراغ تترجل عن السيارة. كانت غايل تعلم ان موراغ تقود السيارة. وغالباً ما شاهدتها تتجول بها في العزبة. ولكن، ان تخرج بها الى الشارع العام... صحيح انها بدت كابنة ثماني عشرة سنة. الا ان رجال الشرطة هنا لا بد يعرفونها. وللحظة غلك

الخوف غابل من ان يقبض على موراغ، بينما اخرجت الأخيرة بعلم اكترات علبة وحزمتين من صندوق السيارة. فبهتت غابل. كيف يسمحها ان تبتاع اغراضاً من السوق وهي لا تملك نقوداً؟

ثم سمعت خطوات رشيقة تصعد السلم قبل ان يقفل باب غرفة موراغ بعنف. فلحقت غابل بها عمداً، واقتحمت عليها الغرفة. فرأتها تستدير وتتحرك امام المرآة وهي تقيس ثوباً على جسمها. وتقدمت غابل صارخة:

«لماذا تقودين السيارة في الشارع العام بنفسك؟».

تحولت موراغ نحوها ببطء وهي لا تكاد تصدق. فغابل لم يسبق ان استجوبتها بهذه الطريقة او تدخلت في شؤونها بأي وجه.

«وما شأنك في ذلك؟ فانا اقود سيارات اصدقائي عندما ازورهم. تفضلي اخرجي واعتني بالصغيرين. فانت هنا لهذا الغرض».

«الم تفكري بعواقب اكتشاف مخالفتك؟ لا شك ان رجال الشرطة هنا يعرفون انك دون السن القانونية».

«اخرجي بحق السماء، فالتزامك بالقانون يزعجني حتى الجنون. هل تبالين بالعواقب؟ اذن، فانت لا تهتمين بي».

«الواقع ان اهتمامي في الوقت الحاضر ينصب على والدك»

«حقاً! يا للغرابة! هل جننت به؟ النساء غالباً ما. . .»

وارجعت موراغ رأسها الى الوراء، وضحكت:

«ولكن، يا له من حب نادر! انه حب من طرف واحد. اصبري حتى اطلع الجمهور على النكتة فنضحك قليلاً».

«الا تعرفين معنى الحياة؟ الا تبالين بما قد يصيب والدك من ذل عندما تمثلين الى القضاء؟ وهذا لا بد حاصل يوماً اذا كنت تقودين السيارات من غير رخصة كما تعلمين».

«كفي عن مواعظك. واخرجي من حجرتي».

غادرت غابل اذ لم يكن بوسعها فعل شيء آخر. غير انها عزمت على ابلاغ اندرو بما حدث.

لم تتعود موراغ ان تتأخر عن العشاء. وهذا احد الأمور التي اجبرت على اطاعة والدها فيها. فإن هي تأخرت دقيقة، امر باخلاء مكانها وتنظيفه. وان رغبت بالطعام، فعلت ذلك في غرفة اخرى.



والليلة الغي مكان موراغ. لكن غابل شعرت بالقلق. ومن دون تفكير سألت:

«هل موراغ في المنزل؟».

تطلع آندرو اليها بعبوس:

«في المنزل؟ اظن ذلك. ولكن، ما الذي يدفعك للسؤال؟».

«لست ادري لماذا سألت. ولكن. . . ولكني احسبها قد غادرت . آندرو. . . لقد قادت موراغ السيارة بنفسها الى السوق بعد ظهر اليوم لشراء . . .».

قاطعها آندرو غاضباً:

«هل انت متأكدة مما تقولين؟».

«لم ارغب في التدخل لأني اعرف ان امورها لا تعنيني. غير اني شاهدتها تقود السيارة بنفسها الى ساحة البيت الأمامية. وقد حدثتها بصراحة عن خروجها بالسيارة الى الشارع العام».

ساد الغرفة صمت مطبق. وتفجر وجه آندرو غيظاً كالبركان. بيد ان غابل سارعت لطمأنته بأنه لم يلق القبض على موراغ. فلم يتبدد غضبه، بل نهض عن كرسيه وغادر الغرفة. فعضت غابل شفتها لشعورها بالذنب. وتساءلت اذا كان بامكانها معالجة الأمر بطريقة افضل. آه! لو تصغي موراغ الى نداء العقل، وتكون اقل عصباً وغروراً وعدوانية.

عندما رجع اندرو، كان غضبه قد تضاءل. لكن وجهه ظل متجهماً وعيناه تتطايران شرراً. وقال لغابل:

«تركت لي موراغ رسالة على الطاولة في البهو تخبرني فيها انها ذهبت لزيارة اصدقائها. وقد طلبت الى احد رجالي ايصالها بالسيارة الى المحطة».

تنفست غابل الصعداء مع ان الحيرة ظلت تستبد بها:

«اذن، هي لم تقد السيارة بنفسها. على انها لم تذكر لي شيئاً عن زيارة اصدقائها».

«تؤكد في رسالتها انها ستبقى هناك اسبوعين».

هذه اول مرة ناقش فيها آندرو موراغ مع غابل منذ اعترافه امامها بفقدان كل سيطرة له عليها.

ثم جلس. ولم يحاول مس طعامه.

وقلت انها ذهبت لشراء بعض الحاجات، فماذا ابتاعت؟».
«ثوباً. لكني لا اعرف الباقي».
غرق في التفكير لحظة، ثم اوضح:
«اعلمتني في الصباح انها لا تملك نقوداً. فهل اقرضتها انت؟».
حمل سؤاله تهديداً مبطناً، فيما هزت غابل رأسها نفياً. الا انها شعرت برعشة في ظهرها. لماذا تخطر على بالها الآن اسئلة مورواغ الوقحة عن مخصصها. . .؟ لقد اكدت غابل «انا ادخر».

اودعت غابل نقودها في علبة صغيرة موضوعة على طاولة الزينة من دون قفل وذلك لأن غابل لم تمر في تجربة تدفعها الى الشك بالآخرين. فهي قد عاشت اولاً في منزل والديها، مع شقيقتها قبل ان تنتقل الى مسكن دبلوكري حيث تعرف ان الخدم جديرون بالثقة، والا لما وظفهم آندرو.

وما كادوا يفرغون من العشاء، حتى اسرعت غابل بالصعود الى حجرتها، وفتحت العلبة. فارغة. لقد كانت تحوي اكثر من مئة جنيه، اي مجمل مخصصها هذا الشهر علاوة على مدخراتها من مرتبات الشهور السابقة.

«لو كنت املك بعض المال، لسافرت». هدرت كلمات مورواغ في مسامع غابل. هل سافرت مورواغ مع صديق شاب كما فعلت من قبل. . . ولم تخجل من سرقة النقود لهذا الهدف؟ ماذا ينبغي ان تفعل؟ وقفت غابل مرتجفة وهي تحدق في العلبة الفارغة وقد تملكتها الحيرة والشك فيما وبخت نفسها لتركها المال هنا. وقد زادت بذلك من تعرض مورواغ للتجربة.

لم يطل ضياعها. فاذا كانت مورواغ قد سافرت، فإنه ليس بوسع غابل القيام بأي شيء، الآن لجهلها بمكان الفتاة وهدفها. كما لا يمكن ربح شيء من اطلاع آندرو على السرقة وتعريضه لمزيد من الهوان، بالقول إن مورواغ سلبت اموال زوجته. ان انقاذ كبرياء زوجها اهم بكثير من خسارة اموالها.

فسدت السهرة كما كان متوقعاً. فمر الوقت بطيئاً ازاء صمت آندرو. وحاولت غابل مرتين ان تفتح مجالاً للحديث. فكان يجيبها زوجها باقتضاب وحدة. لكن المرح عاد يلف البيت مع مرور الأيام. وتصرف الجميع بمن فيهم آندرو بصورة مختلفة اثناء غياب مورواغ. وكانت غابل تتمنى لو تكبر مورواغ وتتزوج لولا خوفها وقلقها على الرجل المسكين الذي سيصبح زوجا لتلك الفتاة.



لم يذهب الصغيران الى المدرسة يوم الأربعاء باعتباره عطلة. ولما كانا مصابين بزكام خفيف، لم تخرج بهما غابل للنزهة. فعلى رغم صحو الجو، فإن الهواء قارس وبارد. وقد لف الضباب رؤوس الجبال وازدادت رطوبة الأرض اثر الامطار التي هطلت مؤخراً.

وعلمت السيدة دافيز ان اليوم عطلة. فحضرت بعد الغداء لاصطحاب الصغيرين الى منزلها. ووعدت باعادتهما بعد تناول الشاي. فقالت غابل وهي تتساءل عن مدى سلطتها في هذا الأمر:
«لم اشأ ان يخرجا. فهما مصابان بالزكام. واريد ان ادفئهما».
كانت غابل تلعب الورق مع الصغيرين قرب النار. ولم تخطىء اذ لمحت خيبة الأمل على وجهيهما عند سماعهما اقتراح خروجهما مع جدتهما.
تطلعت السيدة دافيز الى غابل بغرور. وظلت مرتدية معطفها بعد ان رفضت عرض غابل بمساعدتها في خلعه. ثم صاحت:
«لن يصيبهما ضير في السيارة. هيا بارتداء معطفيكما يا روبي وشنا».
«البرد شديد يا سيدة دافيز. . .».
«اريد ان اتنزه مع ولدي ابنتي. فأرجو ان تعديهما للخروج».
عندئذ اعلن روبي بخشونة غير مألوفة:
«لا اريد الخروج. فنحن وماما نلعب ونمرح».
ايدته شنا وقد جلست على كرسيها براحة تتفحص الورق في يدها:
«ولا انا اريد الذهاب».
احمر وجه السيدة العجوز:
«ما هذه الوقاحة؟ يجب ان احدث آندرو في الأمر. من الواضح انك لا تعلمين ما يجب فعله وما تتقاضين عليه اجراً».
«اتقاضى عليه اجراً يا سيدة دافيز؟ هذا قول غريب يقال لزوجة».
«لن تجديك وقاحتك معي نفعاً. قد تكونين زوجة آندرو. الا انك لست في الواقع اكثر من اجيرة تزوجها آندرو لغرض الاعتناء باولاد ابنتي».
ثم وجهت المرأة اوامرها وهي تستدير نحو شنا:
«من فضلك اسرعي في تهيئتهما للخروج. وانت يا شنا، افعلي ما آمرك به. وارتدي معطفك. وانت ايضاً يا روبي. فكلاكما ستخرجان معي».

قالت غابل مكرهة وهي تتجنب عيني روبي:

«اذا كان لا بد من احدهما، فانا لا استطيع ممانعتك. الا اني ارجوك ان تدفئيها لأن اندرو سينزعج كثيراً ان هما مرضا».

وبعد قليل ركبا السيارة وقد ظهر العبوس على وجه روبي. ولم تخف الدموع من عيني شنا. ووقفت غابل تراقب السيارة وهي تختفي عند اسفل الممر فيما لوحت بيدها لروبي الذي جر راكعاً على المقعد الخلفي ومد نظره الى خارج النافذة.

رجع اندرو في موعد الشاي وهو يقود سيارة اللاندروفر. ولما استفسر عن الأولاد، اعلمته غابل بمكانهما قبل ان تضيف بتردد:

«كان البرد شديداً، ولم ارد ان يخرجا...».

قاطعها اندرو، ولم تتمكن من ذكر شيء عن زكامها:

«من الطبيعي ان ترغب جدتهما في مشاهدتهما. وانا اسمح لها بأخذهما في هذه المناسبات. كما ان جدهما لم يرهما منذ زمن. وهو طريح الفراش. ولا اخالني اطلعتك على هذا الأمر من قبل. ويشعر هذا الرجل بالوحدة. كما انه يحب روبي وشنا. ولا شك انه يفرح بزيارتهما».

شعرت غابل بارتياح بعد ذلك. ورأت انه من الخير ان يزور الصغيران جدهما. ثم بدأت بالتفكير في ذلك الرجل المجهول الذي قال اندرو انه يشعر بالوحدة. فكيف يتعامل مع امرأة وزوجة مثل السيدة دافيز؟ لقد تصورت غابل دائماً ان هذه المرأة ارملة. ولم يأت اندرو او اي من الأولاد الثلاثة على ذكر زوجها.

وما ان رجع الصغيران، حتى عرفت غابل ان شنا مريضة. فقد التمعت عيناها الزرقاوان الكبيرتان بالدموع، واحمرت وجنتاها، وسال انفها. فاخرجت غابل منديلاً تمسح به انفها، بينما لمست جبهتها. وكانت حارة كالجمر. وقالت السيدة دافيز بوقاحة وبدون لباقة:

«انك على حق في انهما مزكومان. وزكام شنا يؤذيها اكثر من العادة، علماً بأن اخلاقها قد ساءت مؤخراً. في اي حال، ادخليها الى الفراش. وستكون بخير في الصباح. ولا داعي لاستدعاء الطبيب».

غير ان اندرو وغابل ظنا عكس ذلك. وسرعان ما تحققا من اصابة شنا بالانفلونزا وبحمى في معدتها. وبعد ذهاب الطبيب، وقف كل من



الزوجين عند جانب من جانبي السرير. وقال اندرو:

«لا بد انها كانت مريضة قبل خروجها».

«كنت اعرف انها مصابة بالزكام...».

زمجر حنقاً:

«اذن، كان ينبغي ان تبقيها في الداخل. فهل كنت سترسليها الى المدرسة؟».

«لا اظن ذلك. الا اني لم اكن لاتخذ القرار بسبب عطلتها. وفي اي حال، لم يكن زكامها ملحوظاً الا بعد الغداء...».

«ومع ذلك سمحت لها بالخروج؟».

اخرستها نبرته الحادة برهة فهل نسي اعلان موافقته على خروجها مع جدتها؟ واخيراً قالت:

«اخبرتك باني لم ارد ان يخرجا مع السيدة دافيز. لكنك قلت ان لا ضير من خروجهما».

«ولكنك لم تخبريني ان شنا كانت مريضة.

لا افهم ابداً عدم انتباهك وادراكك لمدى مرضها. فقد كان يجب ان تكون في السرير قبل ساعات من الآن».

عبر اللوم والعتاب في صوته والظلم في اتهاماته الدموع المحبوسة في عيني غابل. ثم اجبرت ان تدافع عن نفسها بالقول:

«ابقيتهما في الداخل. ودفأتهما. وظلا قرب النار طوال النهار الى ان حضرت السيدة دافيز وقالت انها تريد ان تأخذهما الى بيتها لتناول الشاي وانا واثقة انها لو لم تأخذهما، لادخلت شنا الى الفراش باكراً بعد الظهر».

تواصل انين شنا. ولما ابتعد اندرو، جلست غابل على السرير لتعيد ترتيب الاغطية التي قذفتها الطفلة المائجة. وركز زوجها عينيه الزرقاوين عليها بغضب:

«لماذا لم تخبري السيدة دافيز بأن شنا مصابة بالزكام؟ فانا لا يمكنني ان افهم عدم اكتراثك».

«الواقع ان السيدة دافيز ابدت اصراراً وعناداً شديدين».

«لم تكن لتعاند وتكابر لو عارضتها بقوة كافية...».

عزمت غابل على مقاطعته. لكن حركة قوية من يده اسكتتها قبل ان

تتلفظ بكلمة واحدة.

«الصغيران في عهدتك. وافترض انك تستعملين حكمتك وصواب رأيك في ما يتعلق بمصلحتهما».

توعكت صحة شنا بضعة ايام. لكن ما اغدقته غايل من الحب والحنان والاعتناء آتى ثماره آخر الأمر. ولم تتحسن صحة الطفلة فحسب، بل ازدادت تقرباً من غايل خلال النصف الثاني من الفترة التي قضتها طريحة الفراش. وبعد اسبوع حل اليوم الذي نهضت فيه شنا. فحملها آندرو الى البهو الخلفي الصغير حيث تأججت نار من قطع الحطب الكبيرة علاوة على دفء وحرارة المرجل الرئيسي. ووضعها فوق الاريكة مسنداً اياها الى الوسائد التي وضعتها غايل. وسألها:

«ما رأيك؟ هل جو الغرفة دافىء؟».

«انه رائع ودافىء يا ابي. شكراً».

وابتسمت لكليهما، فيما تنقلت عيناها الجميلتان بينهما. ولم تبد فيهما آثار للتحفظ او الانطواء. لقد انقادت شنا خلال فترة مرضها. وصعدت غايل صلاة حمد حارة بينما جلست معها تروي لها القصص وتقدم لها الشراب وتساعدها على التمدد قبل ان تشد الستائر الى بعضها حين ارادت شنا اخيراً ان تنام.

وذهب آندرو لاحضار روبي الذي لم يقعده زكامه عن المدرسة سوى يومين.

بدا آندرو وكأنه يرى غايل للمرة الأولى على حقيقتها من خلال رعايتها لشنا واهتمامها بها. واخذ يراقبها احياناً وقسماته تنطق بتعبير جديد لم تألفه، فكانت وجنتاها تحمران ويفيض قلبها شوقاً. ومن دون ان تدري كانت ترفع يدها لتلمس الجرح من فوق شعرها وتتمنى لو انها دخلت المستشفى وازالت الجرح عندما اقترح طبيبها عليها ذلك. صحيح ان الوقت لم يفت، الا ان غايل لم ترد ان تترك الصغيرين. والى ذلك لم ترغب ان يعرف زوجها بالجرح.

دخل روبي الغرفة وهو يرقص. فوضعت غايل اصبعها على شفتيها وهمست:

«اصمت. ان شنا نائمة».



فدنا روبي من غايل وهمس في اذنها:

«انها معافاة الآن، فهل ستذهب غداً الى المدرسة؟».

هزت غايل رأسها مبتسمة فيما تطلعت الى الباب الذي دخل منه آندرو بقامته المهيبة المعتمة. واجابت:

«ليس قبل اسبوع».

تجهم وجه روبي:

«ليس هذا عادلاً. فهي لا شك افضل ان كانت قد غادرت الفراش».

احتجت شنا وقد ايقظتها الهمسات والتحركات من حولها في الغرفة:

«لم اغادر الفراش فعلياً. فأنا قد غادرته جزئياً، اليس كذلك يا ماما؟».

«بلى يا حبيبتي. لقد غادرته جزئياً».

«كيف حال طفلتي الآن؟».

قال آندرو ذلك. ثم اقترب من شنا وقد انعم وجهه الأسمر صحة نتيجة انصرافه للعمل في البراري، واسترخت ملامحه في وهج النار المتأججة، وتشعث شعره الكثيف الأسود قليلاً بعد ان عبثت به الرياح الغربية حول المنزل، ثم انحنى فوق ابنته الصغيرة التي جلست وطوقت عنقه بأحد ذراعيه وقبلت وجنته قائلة:

«لست طفلة».

«اذن، فأنت لا تريدين ان احضنك».

«هل كنت تنوي ان تحضنني؟».

«اجل. كنت انوي ان احضنك على ركبتي».

ثم جلس قرب النار وهو يلتفت اليها:

«من احضن بدلاً عنك؟ هل احضن روبي؟».

«كلا، بل احضن ماما».

هكذا اجاب روبي، وهو ينظر نظرة غاضبة كأنه يقول: أيحضن رجل مثلي؟

اعقب الصمت كلمات روبي. واستقرت عينا آندرو على غايل لتفحصها فيما تصاعد الدم الى خديها. ولم تعرف كم بدت ملامحها الدقيقة الجذابة دافئة في وهج النار، مع انها حجبت قليلاً بأهدابها الطويلة الناعمة، التي اسدلت لاخفاء الشوق والحنين المضطرمين في عينيها البنيتين

الرائعتين. الا ان شنا قطعت الصمت وعقبت بسخرية:

«لا تعض الامهات لكبر حجمهن».

«ليست ماما كبيرة الحجم. فهي اصغر من بابا بكثير ولا تبلغ مستوى كتفيه».

اضطربت غابل. ونهضت على عجل لترفع الستائر وتسمح للضوء بالدخول. ولما عادت الى مقعدها، كانت عينا اندرو لا تزالان مسمرتين على وجهها. ثم انتقلت الى عنقها وباقي اجزاء جسمها بسرعة خاطفة. فانحنت لترفع عباءة محوكة من صوف الغنم وتفرد ثناياها. ثم سألت شنا، وقد تراءى لها فجأة جسمها المثخن بآثار الجراح:

«هل ستسمحين لوالدك ان يعضك؟».

«اجل... مع اني لست طفلة. فالفتيات تعض احياناً، اليس كذلك؟».

قال آندرو وقد حول انتباهه آخر الأمر الى ابنته الصغيرة الحلوة:

«طبعاً، خاصة اذا لم يتجاوز عمر الفتاة خمس سنوات ونصفاً».

جلست شنا على ركبة والدها. وهزت قدميها فيما طوقت عنقه بأحد ذراعيها.

وتطلع روبي الى غابل. فابتسمت له. وادنى نفسه منها بينما استقر رأس شنا تحت ذقن والدها. وفكرت غابل بشرود في ان المشهد عائلي حميم بالرغم من فقدان احدى روابط الحب...

«هل تريد ان تشرب الشاي الآن؟».

وجهت غابل هذا السؤال لأندرو. فهو غالباً ما يرافقهم في هذا الوقت من النهار. الا انه منذ توعك صحة شنا، تولى مهمة نقل روبي بين المدرسة والبيت. وبذلك تمكن من تناول الشاي معهم في غرفة شنا حتى اليوم. ورد بلطف:

«سنشربه عندما يصبح جاهزاً. فأنا لست جائعاً. وانما اتوقع ان يكون الجوع قد اصاب روبي».

ثم تراجع الى الوراء وسأل شنا:

«وماذا عنك؟».

«اشعر بالجوع. وارغب ببعض الفطائر والكعك والبسكوت والمربى».



«من الخير ان اهتم بالأمر بنفسي. فلا يمكننا ان نسمح للجوع بمهاجمة مريضتنا».

واثناء تناولهم الشاي بعد حوالى نصف ساعة، سألت شنا:

«هل ستحزن موراغ عندما تعلم بمرضي؟».

اجاب أندرو:

«لا اظن ذلك».

التمعت عينا آندرو فجأة عند ذكر اسم موراغ، خصوصاً انه على حد علم غابل، لم يسع للبحث عنها منذ غيابها لما عم البيت من طمأنينة في الايام القليلة الماضية.

ثم سأل روبي وهو يدفع الى فمه كمية كبيرة من الطعام:

«اين هي موراغ يا ابي؟»

«انها تقضي عطلة في مكان بعيد».

وارسل آندرو نظرة حادة الى غابل قبل ان يحول بصره عنها. فسارعت الى تغيير الموضوع:

«ماذا درستم اليوم في المدرسة يا روبي؟».

«الحساب والكتابة والرسم الى جانب درس في علوم الطبيعة والاحياء فقد تحدثنا عن الثعالب. واخبرت رفاقي ان الثعالب تخطف الحملان الصغيرة في مزرعتنا. وقد سمحت لي الآنسة سبنسر باطلاع زملائي على كل ما اعرفه. والحقيقة اني اعجبت بالمهمة. ولذا سأعمل استاذاً عندما اكبر».

«ليكون بامكانك اطلاع الأولاد على قصص الثعالب، اليس كذلك؟».

دهن آندرو كعكة بالزبدة وقدمها لشنا على طبق. ثم امسك صفيحة المربى وحاول ان يغرف منها بعض الشيء:

«الم تقولي انك تريدين بعض المربى؟».

«اجل. لكني لا ارغب بهذا النوع منه».

«اي نوع تعنين اذن؟».

«المربى الأحمر. اما هذا فأسود».

عقبت غابل بشيء من الندم:

ثم غادر الغرفة قبل ان تتمكّن غايل من قول اي كلمة.

اشتري بنقودك. . .

نهضت غايل عازمة على اللحاق به، وهي تجهد النفس في البحث عن مبررات لعدم وجود مال كاف في حوزتها. واختارت شنا هذه اللحظة بالذات لتحرك ملعقتها في كوب الحليب فقلبته. وقهقه روبي:

«ايتها الحمقاء. لقد ابتل ثوبك النظيف الجميل».

نظرت غايل الى الباب المغلق، ثم الى الساعة قبل ان تتنهد عميقاً. ولم يكن امامها الا ان تبدل ثوب شنا فوراً. ولما تأخروا عن موعد الانطلاق، قررت غايل ايصال الصغيرين الى المدرسة اولاً، ثم العودة لطلب المال. الا انها ذعرت عندما علمت بعد رجوعها ان آندرو قد آوى الى الفراش. فسألت مديرة المنزل السيدة بيرشن:

«هل تناول فطوره؟».

ردت المرأة باستياء:

«كلا، علماً بأنّ طبقاً من الحساء كان سيدفئه بعد قضاء الليل بطوله في الخارج. لكن هذه هي حال الرجال. فانت لا تقدرين ان تثنيهم عن عاداتهم».

وبعد دقائق تنصتت غايل عبر الباب الذي يفصل غرفتها عن غرفة آندرو، فلم تسمع صوتاً. ولما قرعت الباب الخارجي لغرفة آندرو، لم تتلق جواباً.

فحركت المقبض بهدوء وفتحت الباب. ثم تطلّعت داخل الغرفة. فوجدت الستائر مشدودة الى بعضها وآندرو في سريره وقد غرق في نوم عميق. ولم يكن شعره المغسول منذ قليل قد نشف بعد، فعضت شفتها لانه من غير المعقول ايقاظه، مع انه لا مفر من الحصول على المال لابتياع الحاجات الضرورية والمستعجلة.

وتحرّك آندرو في نومه. فتقدّمت غايل داخل الغرفة حيرة وحزينة لتقف بجوار سريرها وتهمس:

«آندرو».

ولما لم تتلق جواباً، رددت اسمه بنبرة عادية. ثم فتح عينيه وقطب جبينه لحظة. ثم نهض جالساً وصاح فيها:



«ماذا جرى؟».

اسرعت لطمأنته وهي تعرف انه كان يفكر بموراغ.

فسألها بعصبية:

«اذن، ماذا تريدين؟».

وعلى رغم الالم الذي اصاب غايل، فقد كان بمقدورها ان تفهم شعوره خصوصاً انه حرم من لذة النوم.

«لا املك المال الكافي لشراء الحاجيات التي طلبت اليّ احضارها. . .».

انقطعت عن الكلام اذ لمحت الدهشة في عينيه.

«انها لن تكلف اكثر من عشرة او اثني عشر جنيهاً».

«لا املك هذا المبلغ».

«فهمت».

لقد عرفت انه لم يفهم شيئاً على الاطلاق. والحقيقة ان غايل تيقنت من عدم تصديقه لها، فسارعت الى القول:

«لو كنت املك المال الكافي، لما ايقظتك يا آندرو».

«حسناً. سأخرج لك المال من الخزانة».

وفي الطريق الى برث، تملّك الغضب والشقاء غايل. فلا بد ان آندرو ظن، اذا لم يصدق كلامها، انها رفضت اقراضه المال خوفاً من ان لا يرده لها.

وتسبب الحادث بشرخ في علاقتهما. لتعاظمت لامبالاة آندرو وبرودته. وكثيراً ما استرجعت غايل قول شقيقتها انه يكره النساء.

وابغضت غايل موراغ. والحقيقة انه عند عودة الاخيرة الى البيت، اسرعت غايل في معالجة الفتاة. وكان زوال النضارة السريع من بشرة موراغ، هو كل ما احتاجته غايل، فانهالت على الفتاة توبيخاً وقد اظهرت بذلك غضبها للمرة الاولى منذ دخولها مسكن دنلوكري. وصمتت موراغ برهة لفرط دهشتها. وبعد ان استفاقت من ذهولها، نفت ان تكون قد سلبت المال.

«انا لا اصدقك. ومهما قلت، فلن تقنعيني بانك لم تسرقي المال. وفي اي حال، فاين كنت طوال هذه المدة؟!»

«احاول دائماً ان اجعلها تتناول بعضاً من عرين التوت. الا اني ساحضر لها «الفريزة».

قال آندرو وهو يعبس قليلاً:

«لا تنهضي. اقرعي الجرس».

كانت الفكرة جديدة بالنسبة الى غابل. وشعرت ببعض السعادة لاهتمامه غير المتوقع. وفيما قرعت غابل الجرس، سأل روبي:

«هل اصطاد مريديث الثعالب؟».

واجاب آندرو:

«قتلت بعض الثعالب. وهذا يعني اننا لن نخسر كثيراً من حملاننا».

وسألت غابل:

«هل يهاجم الثعلب الحملان في اوقات الانجاب فقط».

«اجل. فالثعلب في الصيف يفترس الارانب. اما في فصل الشتاء، فانه يأكل جيف الغزلان المريضة او الهرمة والحيوانات الاخرى التي يقضي عليها شتاء الهايلاند القاسي الذي لا يرحم».

لم تتصور غابل انها ستألف عادة القتل هذه. ولكنها فوجئت عندما وجدت نفسها تعترف بضرورتها. وقال آندرو وكأنه قرأ افكارها:

«احسبك الفت طريقتنا في العيش».

اطرقت:

«اجل. لقد بدأت اعتاد عليها».

وسألها روبي بشغف:

«هل ستتعلمين الصيد واطلاق النار؟».

ردت غابل باصرار وهي تهز رأسها بعنف:

«كلا يا روبي. لن اتعلم ذلك».



# ٥- شرخ في العلاقة

لم ترجع موراغ مع نهاية الاسبوعين. وبرز الاضطراب والانزعاج على محيا اندرو، الذي أجرى استطلاعات أولية بسبب شكوكه.

ومع مرور الأيام على غياب موراغ، تحوّل قلق آندرو المتفاقم الى كآبة تجلّت في عدم اكتراثه الكلي بزوجته. وعلى رغم غياب موراغ، عانت غابل من فراغ في نفسها.

وفي اليوم الاول لرجوع شنا الى المدرسة، دخل آندرو البيت بينما تناولت غابل والصغيران الفطور. وغمت عيناه عن التعب، واتسخت ملابسه بالوحل، وعلق التراب الرطب بشعره. ثم سأل غابل:

«هل تؤدين لي معروفاً؟».

ولما اطرقت، اضاف:

«اليك هذه القائمة بحاجات جونسون من معدات السياج من مسامير وبراغي مشابك وغيرها. فهل يمكنك بعد ان توصلي روبي وشنا الى المدرسة ان تذهبي الى برث وتشتري هذه الاغراض؟».

«بالطبع».

ثم مضى يدلها على مكان المتجر. واضاف:

«اشتري بنقودك. وأنا ساصفي حسابي معك فيما بعد. اليس بحوزتك مال كاف؟».

لم يعطها فرصة للرد عليه، بل اجاب بنفسه على سؤاله:

«طبعاً. فانا اذكر قولك انك تدخرين معظم مرتبك. اما الآن، فانا صاعد لأستحم وأنام قليلاً».

«كنت مع الشمس. فهل تحسدينني على ذلك؟».
«كاد والدك يجن من القلق عليك...».
«هراء. فهو لا يبالي اين ذهبت ومهما فعلت، بل انه يسعد بخروجي من المنزل».
«لا يسع المرء ان يلومه على ذلك اذا كان صحيحا.
أنت ابنة خمس عشرة سنة وتحت وصايته وعهدته. فان كنت تشعرين نحوه بأي مقدار من الحب، فعليك ان تحسني التصرف والسلوك».
«حسناً. انا لا ولن احبه. كما اني لا احب احداً. وهذا مفيد لانه يدرأ الاذى عني. وقد عاشت امي حياة سعيدة لأنها لم تهتم باحد، ولم تحب احداً».
«لا سعادة من دون حب يا موراغ. واني ارجو ان تحاولي من أجل والدك فقط».
«ايتها الواعظة. الم تفكري كم تبدين مضحكة وانت تقفين وتظهرين شعورك بالتفوق والكبرياء؟ لماذا لا تكفين عن مطاردتي؟ فانت لست هنا لانقاذي، وانما للتأكد من ان محبيك الصغيرين الجميلين لا يسلكان الطريق المعوج والمنحدر الذي اسلكه».
ثم اخذت تقهقه وقد حاولت ان تنقر باصبعها ذقن غايل، التي تراجعت وقد نطقت عيناها بالكره لموراغ التي سألت بعد قليل:
«هل اخبرت والدي اني اختلست المال؟».
«هنا امور كثيرة تشغل بال والدك».
«آه... يا لاهتمامك العظيم. فانت الزوجة التي تحمي زوجها المسكين من خطر معرفة الطرق الملتوية التي تتبعها ابنته. اما هو فلا يهتم بزوجته المحرومة من الحب. ولكن، هل حدث تغيير منذ غيابي؟».
ودت غايل لو تقول ان تغييراً للاسوأ قد حدث. الا ان كبرياءها منعها من ذلك. وقالت:
«اتوقع ان ترجعي كل درهم اختلسته».
قاطعتها بضحكة ساخرة:
«امل خادع. لقد قلت اني لم اسلب المال. وانا اصر على قولي. لا بد ان احد الخدم قد نهب مالك. هذا اذا كان قد سرق».



«وانك عدوة لي».
«هذا ما يقوله والدي. ويبدو انكما تتفقان على بعض الامور».
وكادت غايل تختنق من الاستفزاز، فاستدارت نحو الباب صارخة:
«انك عار على بنات جنسك».
ونشب خلاف آخر بين آندرو وابنته بعد عودة الاخيرة الى البيت في موعد الغداء. وعلى رغم حضور غايل في بداية الشجار، لقد نسي آندرو او تناسى وجودها، فانها لم تلبث ان غادرت. ومهما يكن الامر، فان الشجار انتهى هذه المرة بذرف موراغ الدموع على نحو مفاجئ. على ان آندرو دفع ضريبته من الالم الناشىء عن هذا الشقاق. فاصبحت قسوته وصراحته مزعجتين ولا تطاقان. وكالعادة، تحملت غايل القسط الاكبر منها.
وعزت سوء تصرف آندرو للازعاج الذي سببته له موراغ. الا انها كانت بشراً. ثم حين تعاظم حزنها الى ان بلغ ذروته ذات يوم عندما تلقت هي وآندرو دعوة لحفلة راقصة في القلعة. وقال ما اعتبرته لباقة مقصودة:
«هذه حفلة رسمية ترتدي فيها السيدات الثياب بلا اكمام عادة. فهل تملكين واحداً منها؟ وانا اسألك ذلك لأني لاحظت تفضيلك للاثواب ذات الاكمام انها اكمام قصيرة ليس الا».
وشحب لونها قليلاً لأن منظر الجرح على كتفها كان شنيعاً. فقالت متمنية الا يمضي في حديثه في هذه المرحلة:
«في اي حال، انا افضل الاكمام القصيرة».
«يسرني كثيراً ان ترتدي الثوب المناسب لهذه المناسبة».
«لا اقدر... لا اشعر بالراحة».
«هراء. اذا لم يكن بحوزتك ثوب من هذا النوع، فسوف اعطيك المال لتتمكني من شراء واحد».
«لا اقدر. من المؤكد ان بوسعي ارتداء ما احب، اليس كذلك؟».
هل اعتبرها عنيدة؟ تساءلت وهي تتجنب ان توفر له سبباً لمناقشتها. فهو لا يطيق ما هو حقير... استرجعت غايل كلمات موراغ، واضافت بعصبية مفاجئة:
«لا بد ان ارتدي ما يعجبني يا آندرو... ما يوفر لي اكبر قسط من

الراحة».

فصاح وهو يغادر الغرفة:

«عليك ان تلتزمي برغبتي هذه».

وعاد بعد بضع دقائق وبيده شيك أبيض وضعه على الطاولة هاتفاً:

«ابتاعي ما تريدين شريطة ان يكون بلا اكمام».

سمحت غابي لنفسها ان ترتدي ثوباً باكمام قصيرة. ولمّا كانت ترتدي رداء فضفاضاً غطى ملابسها، لم يعرف آندرو بعصيانها اوامره الاّ بعد وصولها الى الحفلة الراقصة. فنزلت من غرفة تبديل الملابس الفخمة لتلتقي بنظراته النامة عن الدهشة والغضب. وارتدت سائر النسوة اثواباً بلا اكمام، فيما اختارت بعضهن شرائط كتف ضيقة للغاية. وفطنت غابي الى اختلافها عن الجميع. الاّ انها فضلت ذلك على اظهار تشوهها القبيح. وزجرها آندرو عندما استطاع ان يتكلم بدون ان يسمعه احد:

«كيف تجرؤين على عصياني؟ كيف تجرؤين على ذلك؟».

وللمرة الاولى احست غابي انه يصب عليها جام غضبه. فابيض وجهها وتلعثمت:

«آسفة. لكني لم أقدر على تنفيذ مشيئتك لاني اشعر بسعادة اعظم هكذا».

ولو استفسر عن السبب، لكانت قد اوضحته لما تملكها من تعاسة نتيجة غيظه. لكنه لم يسأل. وتيقنت انه حسبها تتصرف كما تتصرّف ابنته دائماً، ومثلما تصرفت زوجته الاولى آنفاً. وتنبهت طوال السهرة الى حنقه المكبوت عند الضرورة والظاهر احياناً في نظراته التي رماها بها خلال رقصهما معاً. وظل يختصر كلامه الى ان استقلا السيارة في طريق عودتهما الى المنزل حين تعرّضت لبعض ما تستحقه ابنته المتمردة من تأنيب وتوبيخ احياناً. فحافظت غابي على صمتها مع تزايد استيائها من سلوكه. لكنّ صمتها اثار غضبه. فاستدار نحوها عند دخولها البيت، وسدّد اليها نظرة شحب لها وجهها، وتهدّدها قائلاً:

«لا تعودي الى استفزازي ثانية بهذه الطريقة. وأقسم انك ستندمين ان فعلت».

وأخيراً تمكنت من النطق بتلعثم:



«لا اعتبر ذلك تحدياً لأن لي الحق في ارتداء ما يعجبني».

«شريطة الاّ اخزى كما حدث الليلة».

«آسفة. اعتذر اذا كنت قد تسببت لك بفضيحة او اهانة».

«لا تحسبني جاهلاً. فانا متيقن ان عنادك هو السبب، لأن لا شيء على الاطلاق يمنعك من ارتداء الثوب المناسب...».

قاطعته وقد قررت ان تطلعه على الحقيقة وتنهي هذا العذاب:

«الست تدري اذا كان السبب هو العناد فعلاً. فالحقيقة...».

اسكتها مزمجراً:

«لا شك عندي انه العناد. فهذه ميزة كل النساء».

«اذن، فانت تعتبر النساء سواسية، اليس كذلك؟».

ثم استطردت بصوت مرتعش وقد تنبهت الى غصة في حلقها:

«انك لم تعرفني مدة طويلة حتى تحكم علي، او تتعرّف الى خصالي. لذلك لا تتسرّع في احكامك. ولكن، سواء اعتبرت ذلك عناداً او لا، فاني سأستمر في ارتداء ما يلائمني وان تعارض اختياري للاثواب مع افكارك عمّا هو مناسب، فهذا لن يؤثر بشيء».

اعقب ذلك صمت مخيف. فهي لحد الآن لم تظهر سوى اللطف والمودة بحيث لم يظن انها قد تكون عصية. وعندما عاد يتحدث، كان غضبه قد تبدّد مع العلم بانّ الحدّة لم تفارق كلماته:

«دعيني أقدم لك نصيحة مفيدة يا غابي. لا تظني ان بامكانك ان تتحدّيني وتستفزيني مثل موراغ. فهي جموحة ومتمرّدة لأنها لا تحس بالألم. اما انت، فلست عديمة الاحساس مثلها. وان كان من الصعب ايذاؤها، فمن السهل ايذاؤك. وما عليك الاّ ان تتحدّي سلطتي حتى أؤدبك على نحو تذكرينه مدى عمرك. اعملي بنصيحتي هذه».

وتابع كلامه بلهجة رقيقة فيما لم تفارق عيناه الزرقاوان وجهها:

«اعملي بمشيئتي، وان لم تفعلي، فستجدين أنّ حياتك قد تحوّلت جحيماً».

لم تغب عن بالها كلماته طوال الليل، لأنها لم تنم الاّ قليلاً. فقد كشفت عباراته اموراً كثيرة، فهمه المطلق لشخصية موراغ ولشخصية غابي. فقد ادّعت الاخيرة في ثورة غضبها انه لم يعرفها طويلاً حتى يتعرف على خصالها

المميزة.

غير انها اعترفت بخطئها الآن. لقد اكد باصرار انه ليس من الصعب ايذاؤها... ولكن، هل عرف كم كان الأمر سهلاً؟

واضطرت غايل للاعتراف بأمر واحد هو أنّ اشارات موراغ الساخرة الى حقيقة وقوع غايل في هوى آندرو اقلقت استقرارها لمدة طويلة بعد التلفظ بها.

وانقضى ربيع نيسان العابق بالشذا. وحل محله أيار ببهائه وحسنه، وزال معه كل خوف من قسوة الجو وجنونه. غير ان جو البيت ظل مشحوناً بتوتر ضئيل. وارتاحت غايل حين اعلن آندرو عزمه على قضاء اسبوعين في مزرعته الواقعة الى الشمال. واثناء غيابه التقت بروبن شيلدون وهو شاب ممتلىء الجسم قوي ووسيم، باع والداه اعمالهما في انكلترا، وتقاعدا باكراً وأقاما في اسكوتلندا حيث سكنا كوخاً صغيراً انيقاً يقع على التلال المشرفة على القرية أما روبن، فكان يعمل في مدينة برث ويعيش مع عمة له. ولا يزور والديه الا في ايام العطل والاعياد. وقد قابل غايل في الشارع عندما توقفت سيارتها. وككل امرأة تتعطل سيارتها، وقفت غايل يتنازعها اليأس والأمل، فعين على العجلة وعين على السيارات المارة تبحث عن السائق الشهم الذي لا محالة سيهب لنجدتها. وأوقف روبن سيارته عند حافة الشارع ليسألها:

«ماذا جرى؟».

«ثقب. اخالني استطيع تغيير العجلة، ولكن...».

وبدأ روبن بعد دقائق معدودة بتبديل العجلة فيما نظر بين حين وآخر اليها مظهراً اعجابه بقدها الرشيق وجمال وجهها النادر. ثم قال:

«تفضلي. فها قد انتهينا».

«شكراً جزيلاً. لا بد لي ان اطلب الى زوجي او احد العمال ان يشرح لي ماذا يجب ان افعل في حال حدوث ثقب آخر».

«زوجك! آه! انه حظي التعيس».

وتقابلا ثانية يوم الأحد التالي عندما خرجت غايل مع الصغيرين من الكنيسة.

وبعد تبادل التحيات، سأل روبن غايل:



«اهذان صغيراك؟».

«انهما ولدا زوجي، زوبي وشاه».

«واين تقيمين؟».

واشارت الى المنزل الكبير الواقع في اعلى التلة.

«هذا هو منزلنا».

«مسكن دنلوكري...».

«ولكن هناك فتاة اخرى».

اطرقت غايل وقد ادركت انه يعرف كل شيء عن موراغ واعمالها الطائشة وفرارها المتكرر.

وسأل روبن غايل اثناء خروجهما من ساحة الكنيسة باتجاه سيارتيهما:

«هل موراغ موجودة في المنزل الآن؟».

«أجل. انها في المنزل».

وافهمه جواب غايل القصير انها لا ترغب محادثته عن ابنة لورد دنلوكري المتمردة. ومع ذلك اضاف:

«انها تكثر من الاقامة خارج البيت كما اعلم».

«ان لها اصدقاء كثيرين. ومن الطبيعي ان تزورهم لأنّ الهدوء هنا يزعج فتاة مراهقة في عمرها».

«لا شك انها لا زالت على مقاعد الدراسة».

ووصلوا الى سيارة غايل. ووجهت غايل اليه نظرة مباشرة:

«هذا من اختصاص والدها. وانا لا اناقش هذه الامور مع اي شخص كان».

ثم قال روبن في محاولة لتأخيرها بعد ان دخلت السيارة:

«ألا يحضر زوجك الى الكنيسة؟».

اغلقت الباب وانزلت زجاج السيارة:

«انه غائب حالياً. ولولا ذلك لحضر معنا الى الكنيسة».

أدارت غايل محرك السيارة بينما طلب بالحاح غريب:

«اود ان اتسلى بصيد السمك. فهل يمكنني ان احضر الى البحيرة؟».

«البحيرة؟ لست ادري اذا كان زوجي يسمح بذلك».

«الست تدرين!».

رفع حاجبيه . . . فرأت الفضول يرتسم على قسماته الحلوة . لكنه لم يفه بأكثر من :

«سمعت انه يسمح بالصيد في البحيرة . فهل يمكنني الحضور لرؤية وكيل اعماله؟» .

وقعت في مأزق بسبب جهلها بالاذن الذي ألح اليه روبن . وقالت :

«اظن انه لا يوجد مانع من مقابلتك السيد سينكلاير» .

هتف مسرعاً فيما اقفلت غايل مقبض الباب :

«حسناً . سأصعد اليكم بعد الظهر» .

ودعته . وانطلقت في السيارة وقد لفها انزعاج لم يغب عنها على رغم احاديث الطفلين المتواصلة .

ظهر روبن عند الثانية ظهراً . ولما فتحت السيدة بيرشين الباب ، سأل عن غايل . فادخلته مديرة المنزل الى قاعة الجلوس حيث كانت غايل تلبس روبي معطفه ووشاحه . ففوجئت :

«آه . . . انك تود مقابلة سينكلاير . سأبعث في اثره» .

قرعت غايل الجرس . فحضرت احدى الخادمات . فطلبت اليها غايل ان تحضر وكيل المزرعة . ثم دعت روبن للجلوس . وقال :

«هل تنوون الخروج؟» .

رد روبي قبل ان تتمكن غايل من النطق :

«انا نخرج بعد ظهر الاحد عادة في نزهة يرافقنا فيها والدي . لكنه ليس هنا اليوم . فهل ترغب في مرافقتنا؟» .

تأمل الشاب غايل . ثم تحدث الى روبي :

«هل ترغب في ذلك؟» .

تطلع روبي ايضاً الى غايل واجاب :

«اجل . . . اذا كانت امي تسمح بذلك» .

ولما دخل سينكلاير الغرفة ، ادارت غايل رأسها نحوه وقالت بسرعة فائقة :

«السيد شيلدون حضر هنا بقصد الصيد» .

ثم عرفته بروبن الذي اعرب له عن رغبته . ثم اعلنت شنا وقد استعدت للخروج بعد ان ارتدت معطفها الاحمر البراق وقبعتها المزينين



بالفرو :

«لم اجد قفازاتي . لقد وضعتها في الجوارب . لكني لا اجدها هناك الآن» .

طمأنتها غايل :

«قفازاتك على الطاولة في القاعة» .

ثم طلب سينكلاير الى روبن ان يلحق به الى مكتبه . وقد غادر هو ايضاً الغرفة مرغماً وقد ابتسم لغايل فيما تجاوزها .

واعطي الاذن لروبن بالصيد . ولما غادرت غايل والصغيرين المنزل ، كان يخرج عدة الصيد من سيارته فقالت له غايل : «البحيرة بعيدة بعض الشيء . والافضل ان تستقل السيارة لأنّ الطريق لا يبعد كثيراً عن البحيرة» .

«السير على الاقدام مفيد لصحتي» .

ثم سكت قليلاً قبل ان يستأنف :

«أرجو الاّ ازعجك اذا رافقتك» .

ترددت قليلا قبل ان تجيب :

«لم انو ان اسلك هذه الطريق» .

فتدخل روبي قائلاً :

«لكننا نتجه دائماً نحو البحيرة . وانا ارغب بالذهاب الى هناك حتى نرى السيد شيلدون يصطاد» .

«لن يكون بوسعك ان ترى السيد شيلدون يصطاد لانه سيركب الزورق» .

فاصر روبي :

«اذن ، دعينا نرافق السيد شيلدون ونراه يستقل الزورق» .

ايدته شنا :

«ارجوك . اسمحي لنا» .

غير انّ غايل ظلت مترددة . لماذا راودها القلق من جديد؟ ولمّا لم تعرف لذلك جواباً ، تغلبت على اضطرابها وابتسمت لشنا وقد وافقت ان يقصدوا البحيرة برفقة روبي .

# ٦ - خطوة نحو الحب

من المؤكد ان الجو هدد بهطول المطر. وانبثت ظلال الغيوم المنخفضة والمتدافعة فوق قمة بتيغلو وما يحيط بها من آكام اقتراب المطر. وقالت غايل للحال:

«يجب ان نرجع».

وانتقلت افكارها فوراً الى روبن الذي كان على الارجح لا يزال وسط البحيرة. عندما بلغوا المنزل كانت سيارة السيدة داقيز في الساحة الامامية. وقد جلست هي وموراغ يشربان الشاي في البهو الصغير حيث اضطرمت في الموقد نار من قطع حطب كبيرة زاد عنها من وهج المصباح الوردي الموضوع في الزاوية

وتوقفت المرأتان عن الحديث فور دخول غايل والصغيرين الى القاعة بوجوههم المحمرة، وعند دخولهم القاعة، وضع الصغيران يدهما في يد غايل. ولاحظت جدتها ذلك بينما وقف الثلاثة امامها وقد ارتسم الفضول والاستغراب على محيا غايل التي همست معتذرة:

«آسفة لاننا كنا في الخارج. فانت لا تزورينا يوم الاحد عادة».

رمت السيدة داقيز غايل بنظرة احتقار مألوفة فيما ابتسمت للصغيرين:

«ليس ذلك من عادتي حين يكون آندرو في البيت. لانه يجب ان يقضي عطلة الاسبوع وحده».

«لو اتصلت بي بالهاتف لما خرجت بالصغيرين».

«في اي حال لم تترعج هنا بمفردنا».

ظهر في عيني موراغ مزيج غريب من الاهتمام والفضول لم تعرف له



غايل سبباً الا بعد ان رحلت السيدة داقيز بعد نصف ساعة. وكان الصغيران قد ذهبا لغسل ايديهما. سألت موراغ:

«من هو صديقك الشاب؟».

ارسلت غايل الى موراغ نظرة كبرياء.

«اني لا افهمك».

«هل هو الذي اشترى الازهار؟».

«لم اعرف السيد شيلدون الا منذ ايام قليلة».

«لا شك انه سريع الوصول الى هدفه حتى يحضر لرؤيتك اليوم. آه، اجل. لقد رأيته ورأيتك تخرجين معه. هل تلتقيان سراً؟ اظن ذلك ممتعاً».

واستطردت موراغ فيما تأملت النار المضطرمة:

«ربما قررت ان اتزوج في نهاية المطاف. فمن المثير للغاية ان تستنبطي طرقاً للهرب. والزوج يوفر حاجزاً تحسرين على تخطيه وتحسين عندئذ بنشوة الانتصار وبقدرتك على انجاز شيء مهم».

رمقت غايل الفتاة بنظرة ازدراء. لكن موراغ اكتفت بالضحك بينما قذفت الشطيرة في الطبق باهمال، فوقعت على الارض. ولم تحاول رفعها فيما اضرت:

«ستقعين في مأزق ان اكتشف والدي امر صديقك الشاب لانه سيستنتج ان التاريخ يعيد نفسه. لقد دأبت امي على مصادقة الرجال ولا شك انك تعرفين ذلك».

استاءت غايل. وغادرت الحجرة باتجاه المطبخ لتعلم الخادمة انهم سيتناولون الشاي في البهو الخلفي الصغير. وبعد عودة آندرو بوقت قصير، رافقه زوجته في غرفة نوم الاطفال حيث عملت على تنظيم الخزائن وترتيب الألعاب التي قلبها الاولاد، باعادتها الى علبها الصحيحة. وسألها بحنق اسكتها برهة:

«من هو ذلك الشاب الذي زارك هنا؟».

لقد عرفت مصدر النبأ. الا انها سألت على مهل:

«هل تحدثت الى سينكلاير؟».

صاح وهو يعبس في وجهها لمجرد السؤال:

«كنت اتحدث مع موراغ».

لم تجبه فوراً، بل نظرت اليه وهي تتذكر عزمها على تسوية الأمور بينهما واطلاعه على السبب الحقيقي لرفضها ارتداء ثوب يعجبه. لكنها حين رأت اتهامه لها ونعته، غابت كل نواياها الطيبة. واتقد وجهها سخطاً. وسألته وهي تتحكم بنفسها:

«لعلك تخبرني عما قالته حرفياً».

«ابلغتني بخروجك للتنزه معه بعد ظهر الأحد. . .».

«مع الصغيرين؟ هل اخبرتك ان الصغيرين كانا معي؟»

اطرق وقد تقلصت عضلات فمه. فاستطردت:

«يجب ان اعترف انه هب لمساعدتي عندما ثقبت عجلة السيارة. . .».

تساءل ببرودة وسخرية:

«ثقبت عجلة السيارة؟ يا للصدفة».

كاد غيظ غايل يقتلها. لكنها استأنفت حديثها بهدوء يثير الاعجاب:

«والتقينا للمرة الثانية عند خروجنا من الكنيسة. فطلب مني اذناً بالصيد في البحيرة».

«لقد فعل. . . بعد هذا التعارف السريع. . .».

لم تجب بكلمة فيما استطرد وتلك البرودة المصطنعة لا تفارق نبرة صوته:

«وهل اعطيته اذناً بالصيد في البحيرة؟».

«كان من الطبيعي ان احوله الى سينكلاير، الأمر الذي اظنه صائباً».

احدث آندرو حركة في حلقه. فكانت الدليل الوحيد على مشاعره فيما قال بروية:

«انتبهي يا غايل جيداً، ولا تنسي مع من تتحدثين».

خفضت رأسها فوراً فيما استطرد يقول:

«هل اعطى سينكلاير صديقك اذناً للصيد في البحيرة؟».

«صديقي؟ لقد اعطى سينكلاير السيد شيلدون اذناً بالصيد، الأمر الذي جعلنا نرافقه. لقد اراد الصغيران ذلك. فوافقت».

ردد عاقداً حاجبيه:

«الصغيران؟».

رفعت رأسها، ونظرت اليه بثبات:



«أجل يا آندرو. الصغيران».

«سوف ارى سينكلاير. فهذا الرجل لن يحضر الى هنا ثانية، كما انك لن تتحدثي اليه ثانية. هل تفهمين؟».

هنا فقدت غايل السيطرة على اعصابها، وثار ثائرها:

«اني لا افهم شيئاً. فموراغ لها افكارها الخاصة عن علاقتي بزوين. . .».

اكفهر وجه آندرو. فاصلحت كلامها وهي تضيف:

«اقصد السيد شيلدون. ويبدو ان موراغ نقلت اليك افكارها. فصدقها اذا كنت تريد ذلك لأني لا املك سيطرة على شكوكك. اما بالنسبة الى مخاطبة السيد شيلدون. . . فسافعل ما يرضيني. ماذا تريدني ان افعل؟ هل ازجره عندما نلتقي ثانية؟ هل هذا ما تقصده؟».

«هذا ما قصدته بالضبط».

«اذن فانك ستصدم. لأن تهذيبي لا يسمح لي بمعاملته على هذا النحو الوقح».

فاندفع نحوها بقامته المديدة وعضلاته المفتولة والشرر يتطاير من عينيه. فتراجعت غايل مرتجفة وقد امتقع لونها ووضعت يدها على رأسها بدون ان تدري. وانتفخ الجرح فوق صدغها النابض بالألم. واوقف الجدار تراجعها فوصل آندرو اليها متهدداً متوعداً فيما تكلم بصوت منخفض:

«هل سأصدم؟ صدقيني انه لو صدمت، فستندمين اشد الندم».

تسارعت دقات قلبها بصورة مؤلمة. ولشد ما دهشت اذ غلب خوفها على غيظها بعد ان رأت في زوجها قسوة وهياجاً لم تعرفهما من قبل. ويبدو كأن كل وحشية وهمجية العصور السابقة قد علت ملامحه واعطته مظهراً قاسياً بل شيطانياً.

«حسناً. انتظر حتى ترى اذا كنت سأندم».

«هل تنوين استفزازي وتحديّ؟».

«اني عازمة على معاملة السيد شيلدون بالطريقة التي تمليها علي الاخلاق الرفيعة واصول السلوك الحسن».

فهدر صوته وقد تراقصت خطوط بيضاء على جانبي فمه:

«انك لن تتكلمي معه ثانية. واني آمرك بتجاهله مهما تكن ظروف

لقائكما».
شعرت غايل بالوهن في رجليها والاضطراب في اعصابها.
ومع ما اعتراها من خوف في هذه اللحظة، فقد رفضت الاذعان لرغبات آندرو ومعاملة روبن بهذه الطريقة السيئة. وقالت:
«آندرو. . لا يمكنني تجاهله بدون اي سبب. . .».
فأخذ يهزها بعنف. لكنه توقف فجأة. وتكلم اخيراً بعناء وبطء:
«كيف اصبت بهذا الجرح في رأسك؟».
هزت رأسها وقد انهكها التعب. وتمنت في تعاستها وشقائها وبؤسها لو انها لم تره ابداً. وقالت:
«انه. . . انه. . .».
وردد للحال بصوت يعبر عن الذهول والندامة والرقة:
«غايل. . . لا تبكي يا عزيزتي. اني آسف لما سببته لك من اذى. . . ولكن، اخبريني ماذا حدث».
غير ان غايل لم تستطع الا ان ترفع رأسها وتحدق اليه بعينين متسعتين وقد ضاق نفسها فيما حاولت استيعاب تغيره المفاجىء. لقد تأمل الجرح النابض بعطف مستغرباً وقد شحب لونه على اثر الاجهاد العاطفي الذي اصاب غايل، التي همست بسرعة:
«وقعت ضحية حادث سيارة خلف هذا الجرح وجرحاً آخر اثار قبحاً في كتفي. . .».
فسألها بحدة وقد علا الشحوب فمه لسبب آخر مختلف هذه المرة:
«كتفك؟ اذن، لذلك لم. . .».
قطع حديثه على الفور لانها هزت رأسها. ثم استطرد:
«لماذا لم تخبريني بالأمر ايتها الفتاة السخيفة؟».
فخطر لها مجدداً قول موراغ انه لا يطيق ما هو حقير. وعرفت انها ليست قادرة على ابلاغه بأمر جراحها الباقية. ربما اخبرته لاحقاً. فردت بدون ان تحسن تبرير نفسها:
«الحقيقة اني اردت اخبارك. لكني اظن ان اباني وعنادي منعاني. . . بعد. . .».
فحملق فيها مستفهماً:

«بعد؟!».
فاعترفت:
«في البداية لم ارد اطلاعك على قصة الجراح».
«لم تريديني ان اعرف! ولكن، لماذا؟».
من البديهي الا تردد ما تفوهت به موراغ، لذلك اجابت:
«اتصور انك لا تحب ما هو حقير».
«اوتعتبرين نفسك حقيرة ودون المستوى؟».
ولم يعطها آندرو فرصة للرد على سؤاله اذ مضى يوبخها ولكن بطريقة مختلفة عن طريقته القاسية والمتشددة وسألها:
«ما الذي اوحى لك اني لا احب ما هو حقير ودون المستوى؟».
«المرء يكوّن انطباعات. . .».
وخالجها ارتياح لانه لم يستفسر اكثر عن القضية، بل هز رأسه محتاراً وكأنه يتساءل عما دفعها الى هذا الاستنتاج.
جففت دموعها وابتسمت بعد ان طمأنتها رقته في تجاوز امر التشوهات.
وسألته بعد قليل وقد اطمأنت الى هدوئه واستعداده للاصغاء اليها وقربه منها:
«هل يمكنني ان اخبرك عن روبن؟».
اجاب بلطف وروية:
«اجل. تعالي واجلسي بجانبي على الاريكة واخبريني بكل شيء».
لم تختلف اقوالها الآن عن السابق. لكنه رأى الأمر على حقيقته من خلال شعوره الجديد بالصبر والتسامح والتفاهم لا من منظار الشك الذي يشوه الحقائق. واعتذر اخيراً:
«آسف يا غايل. وعذري الوحيد هو ان. . .».
صمت وقد ظهرت الكآبة في عينيه:
«لا. لا استطيع ذكره. ولكن، صدقيني كان هنالك عذر».
ثم ابتسم لها، فتسارع نبضها. يا لله كم تغيرت سيماؤه. . . وكم بدا جذاباً.
وقربت الحادثة بينهما. وكان احد معالم التغيير في آندرو تناوله الشاي مع غايل والصغيرين بعد الظهر حين قضوا جميعا وقتاً ممتعاً تسوده الالفة.

وتتالت نزهات الأحد بعد الظهر. واحياناً رافق آندرو غابل في رحلتها لاسترجاع الصغيرين من المدرسة حين تقل مشاغله. ثم اخذا يقومان ببعض الزيارات في المساء. وسمعت غابل بعض الملاحظات عن تأثيرها الايجابي على آندرو، وعن ارتياح اصدقائه لعصر السعادة التي بدا يعرفها واقام الزوجان مأدب عشاء في قاعة الطعام الكبرى المزدانة بالرسوم والتي كانت تشع ببريق الفضة والزجاج المقطوع والجواهر التي تتزين بها السيدات.

لكن موراغ ظلت بالطبع عائقاً كبيراً امام سعادة آندرو وهدوئه ومصدراً عطياً لاقلاق غابل وازعاجها. فأي شجار حاد بين آندرو وموراغ كان يعني دائماً تحكم الانقباض والكآبة به من جديد. عندئذ تبدأ غابل بالتساؤل عما يدور في رأسه من افكار، وعما اذا شك في ان موراغ ليست ابنته. وفي حال صحة هذا الشك، الا يخامره اشتباه عارم لانها تزعجه كل هذا الازعاج؟ لكنه ازداد طوال الوقت تقرباً من غابل واستمد منها سعادة وطمأنينة، والطريقة التي تحدث بها الى زوجته عن موراغ اعطت دليلاً على العلاقة الجديدة بينهما. وبينما جلس مع غابل ذات يوم في البهو الخلفي الصغير قال:

«اني أنوي ارسال موراغ الى مدرسة داخلية».

ولم يشر الى ان الفتاة طردت مرتين من مدارس داخلية في السابق. ومن الطبيعي ان غابل لم تحاول اعلامه بما استرقت السمع اليه، بل سألته بحذر:

«هل تفكر بمدرسة معينة؟».

«هناك مدرستان. اولاهما قرب ادمبره والثانية في انكلترا. وسأكتب اليهما. ويحتمل الا تقبل المدرسة الواقعة في ادمبره موراغ لأن مديرها لا شك يعرف ماضي الفتاة الاكاديمي، في حين لا توجد هذه المشكلة مع المدرسة التي تقع في انكلترا. فرتبت الامور بحيث تبدأ موراغ دراستها في شهر ايلول».

وتحتم على غابل ان تعترف، وهي تتذكر تفاؤلها بقدرتها على مساعدة موراغ، ان المنزل سيغدو جنة في غيابها. فقد اخفقت غابل في مساعدة الفتاة، واقرت بعد وصولها بوقت قصير ان لا شيء يمكن عمله لمساعدة



المسكينة، التي احتفلت بعيد ميلادها السادس عشر مؤخراً حين اشترت لها غابل فرشاة فضية ومجموعة من ادوات تسريح الشعر وتزيينه. ويذكر انها علمت ذلك بواسطة تحرياتها الدقيقة، الامر الذي ادهشها، وان كان قد سهل عليها شراء الهدية. كما طلبت غابل من روبي وشنا ان يبتاعا هديتين لشقيقتهما. ثم عرضت جميع الهدايا على آندرو علماً بانها سمعته يهدد موراغ بانه لن يهديها شيئاً في عيد ميلادها. وسألت غابل آندرو في محاولة منها لدفعه الى شراء هدية لابنته:

«ماذا تنوي ان تهديها؟».

«لا شيء. لقد اخبرتها بأنني لن اهديها شيئاً».

ثم تفحص الهدايا بلطف، واتقدت عيناه غضباً عندما لمح هدية غابل. لكن زوجته لم تعرف السبب الا حين قدمت الهدية الى الفتاة، التي لم تظهر امتعاضها وامتنانها عندما فتحت العلبة، فقالت:

«اجد نفعاً اكبر في السجائر. لكني سأبيع هذه كما بعت غيرها. فشكراً في اي حال».

«هل بعت واحدة اخرى؟».

«عندما كان والدي في احدى لحظات كرمه، اهداني مجموعة قديمة من ادوات تسريح الشعر وتزيينه احتفظت بها اسرتنا لاجيال عديدة. بعدئذ اخذ يقتر علي بالمال. فاضطررت لبيعها».

وفي بداية تموز ذهبت موراغ لزيارة اصدقائها ثانية. وتركت رسالة لوالدها تبلغه فيها عن غيابها لثلاثة اسابيع بدون ان تترك عنواناً او تشير الى ما تملكه من المال. على ان غابل شعرت ان الفتاة لم تملك مالاً وفيراً يكفيها من السفر الى الخارج. وفوجئت غابل اذ لم يظهر الاهتمام على آندرو، الذي اكتفى من معالم الغضب بتمزيق الرسالة ورميها في سلة المهملات.

وحضر روبن بعد دقائق. ولم تكن غابل قد رأته بعد شجارها مع آندرو سوى مرتين. فتطلعت الآن الى زوجها بقلق وقد خافت ان يكون التعامل معه صعباً الآن خصوصاً بعد تلقيه رسالة موراغ. لكنه استقبل روبن بترحاب واعطاه اهتماماً بالصيد. وقبل ان يعود الشاب الى بيته، رأت غابل آندرو يحادثه قرب سيارته.

وسأل آندرو غابل بعد غياب موراغ ببضعة ايام اذا كانت ترغب بدعوة

هيلدر وروجر لقضاء مدة عندهما. ففاجأها الاقتراح مفاجأة تامة، وقد فرحت به. الا انها كبتت بحذر لما داخلها من شكوك وهي تعلم ان هيلدر تبغض آندرو، وانها رفضت دعوة شبيهة. وتبادلت الشقيقات الثلاث منذ البداية رسائل ضمنتها هيلدر اسئلة تعبر عن خشيتها، وكانت غايل ترد عليها برسائل غامضة تعرب فيها عن سعادتها. ولم يعذبها ضميرها بسبب اجوبتها الكاذبة التي قصدت بها حماية شقيقتها من القلق الزائد. اما بيث، فلم تكثر من الاسئلة. لا لأنها احبت غايل اقل مما احبتها هيلدر، ولكن لأنها التقت آندرو للمرة الأولى يوم العرس لمدة قصيرة لم تساعدها على تكوين انطباع عن صورها

ثم سألت غايل:

«هل يمكن لبيث وعائلتها ان يحضروا لاحقاً؟».

اقترح آندرو فوراً ان يحضروا جميعاً. وعقب مبتسماً:

«ستفرحين كثيراً باجتماع الأسرة من جديد».

فتساءلت غايل اذا كان العمل لا يتعب الخدم.

«سيكون عليهم الاعتناء بأربعة اولاد جدد».

غير ان زوجها ابتسم ثانية:

«لا تخشي شيئاً على الخدم. فهم سيتدبرون الأمر».

واكتمل سرور غايل بقبول شقيقتيها دعوتها. ثم حضر افراد الاسرتين جميعاً مستقلين سيارتين.

وعرف سيمون ومانذا للحال ولدي آندرو، وانطلقا معهما الى الاراجيح. اما طوماس وماريلين فالتصقا بوالديهما خجلين، فيما تأملا تذكارات الصيد المعلقة بالجدران، وقد ظهر الخوف والاعجاب في عيونهما.

فنادت غايل روبي فوراً، وقالت:

«لا زال هنا طوماس وماريلين. وهما يريدان ان يلعبا ايضاً».

اجاب روبي على عجل:

«هيا. فلنتسابق نحو الاراجيح».

ثم حضرت خادمتان لنقل الأمتعة الى الطبقة العليا. الا ان غايل تقدمت شقيقتيها، وادخلت بيث اولاً الى غرفتها وغرفتي ولديها الواقعتين في الطرف الآخر من الممر. وقالت قبل اصطحاب هيلدر الى ثلاث حجرات



متشابهة:

«سارك في الطبقة السفلى عما قريب».

وسألت هيلدر:

«ماذا حل بالرجال؟».

«انهم يتناولون الشراب».

ثم اتجهت غايل صوب الخادمة:

«ارجو ان تتركي الحقائب في مكانها يا دورا. فسأساعد شقيقتي بنفسي على فض امتعتها».

فتركت الفتاة الحقائب، وغادرت الحجرة. وعلقت هيلدر بشيء من التذمر:

«لا زال آندرو كما كان يفضل صحبة الرجال».

فردت غايل بقسوة غير مألوفة:

«لم ينسَ ان يدعوك انت وبيث لمشاركتهم الشراب عندما تنتهيان من عملكما. لكنك كنت مشغولة بالحديث معي، فلم تسمعني».

نظرت هيلدر الى شقيقتها باستغراب لتفحص وجهها وتقول مداعبة:

«انك شديدة الحساسية، اليس كذلك؟ آمل ان تكوني قد وقعت في هوى هذا الوحش!».

وبعد ان وضعت غايل الحقائب على كرسي ورفعت غطاءها، سألت شقيقتها:

«هل اعجبك جناحكم؟».

«هل تتهربين من سؤالي؟ اجل. انها غرف جميلة. والمنظر رائع من هنا. يا لها من جبال ومروج! ويا لزرقة السماء! طالما حسبت ان المطر لا ينقطع في اسكوتلندا».

«وكذلك انا. لكن السنة كانت مختلفة. فلم يسقط الثلج عندنا الا على قمم الجبال العالية في الشمال وبعض القمم هنا. وقد ذاب الثلج عن قمة بنيفلو قبل شهر من الآن».

«اين يقع جبل بنيفلو؟».

«انه يقع بين ذينك الجبلين. وهو يدعى ايضاً جبل الضباب».

«لكن الضباب لا يكتنفه الآن. ولذا اتوقع ان نستمتع بطقس رائع».

والحقيقة انني سعيدة بدعوتك لنا».

«انني سعيدة بقدومكم. فقد خشيت ان ترفضي الدعوة».

«لم يمكنني ان افعل ذلك هذه المرة لانك هنا».

ثم نظرت الى اسفل وقالت بفظاظة:

«لا ريب انك تزوجت المال، الأمر الذي يعوضك عن بعض من خسارتك».

لم تعقب غابل على قول هيلدر بشيء. اما هيلدر فأضافت وهي تتطلع الى شقيقتها بفضول:

«انك تتهربين دائماً من اسئلتي عن موراغ، بينما احترق شوقاً لمقابلتها».

«لن تتاح لك الفرصة لأنها في زيارة لاصدقائها. هل اقرد هذه الحقيبة؟».

«في زيارة لاصدقائها؟».

ثم صمتت قبل ان تضيف:

«هل تقصدين انها فارة كعادتها؟».

«اظن ذلك».

وهزت غابل كتفيها وغيرت الموضوع:

«سنقيم حفلة شواء يوم الخميس اذا سمح لنا الطقس بذلك».

تطلعت هيلدر اليها وقد ادركت مرماها. لكنها لم تتحول عن الموضوع:

«اتصور انك دعوتنا للزيارة لأن موراغ بعيدة».

فجاء جوابها ملتبساً:

«آندرو هو صاحب الفكرة».

غير ان هيلدر اكتفت بالابتسام:

«الا تزعجك؟ لا ريب انها تقلقك».

«كثيراً ما تتشاجر. لكنني لا اتعاطى كثيراً بشؤونها».

«هكذا اذن؟ فقد اخفقت نواياك الحسنة، ولم توفقي الى اصلاحها».

«يجب ان اقر... ولكن... انه امر فظيع يا هيلدر ان اقول ان ليس بالامكان اصلاح موراغ».

«حتى ولو اقترنت بزوج مستقيم؟».

تنهدت غابل بينما تذكرت ما قالته موراغ عن متعة خداع زوجها



وخيانته:

«الشبان المستقيمون يضجرونها».

وبينما فردت هيلدر حقيبتها، سألت:

«وماذا عن الصغيرين؟ فقد بدا لي عندما كانا في ضيافتنا انهما مطيعان».

اشرقت عينا غابل حيوية وحماسة:

«انهما غاية في الفتنة. وانا احبهما حباً جماً. كما يحباني هما ايضاً. لذلك اعتبر نفسي محظوظة».

«يبدو انك حصلت على ما تتمنين. وعلى الاقرار بأن من الخسارة بمكان الا يحظى شخص مثلك بامتياز تنشئة الاولاد. واني اغبطك يا غابل من كل قلبي لتحقيق امنيتك».

ثم اضافت وقد لاحظت التغير السريع في ملامح شقيقتها:

«وآندرو...؟».

لم ترد غابل، فمضت هيلدر على مهل:

«تذكرين اشارتي الى انه من الممكن ان تكوني قد وقعت في هواه؟».

احمرت غابل خجلاً، واطرقت مرغمة بينما اعترفت لانهما لم تتعودا اخفاء الاسرار عن بعضهما:

«اجل اني اجد اهتمامي به قد تزايد كثيراً بحيث هدد طمأنينتي».

«هل هو حادث مؤسف لم تأخذيه في عين الاعتبار؟».

عبست غابل:

«لا يمكنني ان اسميه كذلك...».

قاطعتها هيلدر فوراً:

«الا تفعلين؟ هل تقصدين انه هو ايضاً قد وقع في حبك؟».

وهزت هيلدر رأسها:

«ان قسوته وصلابته تمنعانه من ان يعشق يا غابل».

«يخيل الي انك رسمت له صورة خاصة، اليس كذلك؟».

«لم يظهر لي منه الا الغرور في كل مناسبة جعلني سوء حظي... اقصد...».

عدلت هيلدر كلامها اذ تذكرت انها تنزل في منزل آندرو:

«في كل مناسبة التقيته فيها. وانت نفسك تذكرين انه بالكاد اطال

التحدث الى اني هنا في زيارتك الأخيرة لنا».
فتحت غابل درجاً وضعت فيه ملابس هيذر الداخلية:
«لكنه تحدث الي، وطلب مني ان اتزوجه».
ثم سددت غابل نظرة مرحة الى شقيقتها:
«والحقيقة انه ليس كما تقولين على الاطلاق. فهو قد تحمل اكثر من الذين في سنه. ولا يمكن لومه ان هو اظهر مرارة وتصلباً. لكنه في جوهره متسامح ومتفهم و. . . وبوسعه ان يعشق. . .».
ومع ذلك صمتت، بينما اغرورقت عيناها بالدموع. ترى، هل كانت تمني النفس بأمل خادع؟ وقالت هيذر معقبة:
«اتمنى الا تتعرضي لصدمة اخرى».
«لا انكر القول بأن آندرو اصبح في الآونة الأخيرة اشد لطفاً. ولولا ان موراغ تغضبه، لما كان يفقد اعصابه ويثور في وجه الجميع».
وانتصبت غابل واقفة بعد ان اغلقت الدرج وتابعت:
«الزمان هو الشاهد الوحيد على كلامي. فلم ينقض وقت طويل على زواجنا حتى الآن. ولا احس اني قد خدعت. فآندرو قد افهمني ان زواجنا سيكون شكلياً، وقد وافقت على ذلك لرغبتي آنذاك بأن اصبح زوجة».
«ليس من المألوف ان تستمري في تجاهل رغباتك الطبيعية. ولا شك ان لآندرو رغباته ايضاً».
وتجهم وجه هيذر قبل ان تسأل على حين غرة:
«ولكن، هل يظهر رغباته من تلقاء نفسه؟».
«اذا كنت تقصدين بسؤالك معاشرته للنساء، فإني اؤكد لك ان ليس له اي خليلة».
«آسفة. فأنا لم اقصد ايذاءك. ولا اتصور انه يتخذ خليلة».
وغيرت هيذر الموضوع. فتسنى لغابل ان تطلع آخر الامر على الاخبار التي طال انتظارها لها. فروجر وقع على صفقة كبيرة، وها هو يسعى للتوقيع على اخرى. اما ماريلين فقد فازت بميدالية فضية هي الخامسة من نوعها لحسن رقصها. وقد عثر سيمون في الروضة على طائر شبيه بالحجل. فبكى عليه الجميع ما عدا روجر. . .
ونقلت اليها اخبار بيث بعد ان انضمت الشقيقات الثلاث الجم في



قاعة الجلوس. وتنصت آندرو احياناً الى حديثهن، بينما تأمل وجه زوجته وابتسم لها كلما التقت عيونهما. فغمرتها سعادة عارمة لاستضافتها شقيقتيها اللتين طالما اقامت عندهما لانه لم يكن لها منزل خاص بها. وعندما دخل الصغيران وقد علت وجهيهما الحمرة واحسا بالجوع، وصاحا ماما وكأن غابل هي امهما حقاً، طرحت غابل جانباً آمالها العريضة وفرحت بحظها. وقال روبي لاهثاً:
«ماما. . . اريد ان آكل».
ووافقت شنا فيما كانت انفاسها تتقطع كشقيقها:
«وكذلك انا».
اما طوماس، وهو اكبر منهما سناً، فقال برصانة:
«كلنا جياع. فهل يمكن ان نتناول بعض الشطائر يا خالة غابل؟».
فرد آندرو وهو يمد يده الى حبل الجرس:
«اظن ان الشاي سيحضر بسرعة».
وحضرت دورا على الفور. ورداً على سؤاله، قالت ان الشاي سيحضر بعد خمس دقائق.
وجلس الجميع الى الشاي. فاحتل الستة الكبار طاولة، بينما شغل الأولاد طاولة اخرى. وساد الضجيج طوال الوجبة. لكن احداً لم يكترث لذلك. ورأت غابل في زوجها رب الأسرة النموذجي بكرمه ومرحه واسترخائه واحتفاظه بكبريائه فوق كل شيء. ولما تيقنت بيث من ان آندرو لا يسمعها، همست:
«اني معجبة بزوجك. كيف تخيلت هيذر انه مقيت؟».
«لم تكن تعرفه جيداً».
«استغرب انك لا تحبينه».
«من قال اني لم افعل؟ هل ترغبين بمزيد من الكعك؟».
«هذا ضروري يا غابل البلهاء».
«الزبدة الى يسارك، فهل تريدين مزيداً من الشاي؟».
«هل تظنين انه سيقع في هواك؟».
«ربما. ولكن، شريطة ان يظل نجمي متصاعداً».
فقالت بيث بقلق:

«ولكن، افترضي ان هذا لم يحدث».

تلعثمت في ردها:

«يبقى الصغيران لنتي».

الآن فقط ادركت انها لن تحقق ذاتها بالحصول على الأولاد فحسب. وتساءلت برعب اذا كانت تطلب المستحيل. فالأقدار قد رأفت بها وانتشلتها من عنوستها الكئيبة، وقدمت لها ولدين رائعين، ومنزلاً يفخر الانسان به، ورجلاً ليس من طينة الناس العاديين. لذا، هل يجب ان ترضى بنصيبها ولا تطلب المزيد، بل تحمد الله على ما هي فيه من نعم.

وبعد ان صبت قليل الشاي ثانية في فنجان بيث، سألتها الأخيرة:

«هل يعرف آندرو كل شيء؟».

«علم بالحادث لأنه رأى الجرح في رأسي. فاستفسر عن سببه، فكان لزاماً علي ان اخبره اني تعرضت لحادث اصطدام بالسيارة. لكنه لا يعرف شيئاً آخر».

وبح صوتها اذ خطر لها خاطر آخر. لنفرض ان آندرو احبها فعلاً، فهل سيرغب بانجاب مزيد من الأولاد؟ ارعبتها الفكرة. فطردتها من رأسها. واخذت تتحدث الى روجر قبل ان تشارك الجماعة في حديثهم.

وكم اشتد ما كان سرورها ورضاها عظيمين عندما اعلن آندرو عزمه على الا يعمل طول مدة اقامة زوارهما. فقد رأت انه بحاجة للراحة، وبما ان عطلته صادفت في وقت غياب موراغ لم تجد حائلاً بينه وبين راحته الجسدية واسترخائه النفسي.

كانت عطلة ريفية رائعة قضى الجميع معظمها في العراء لأن الجو كان لطيفاً ومشمساً. وقد سمح ارتفاع الحرارة في بعض الأيام بأخذ حمام شمسي. واستعملت بركة السباحة احسن استعمال وكذلك المرج الذي غرس منذ سنة في جزء من الروضة عند احد جوانب المنزل.

واستمتع الجميع بالتجوال عبر الحقول والمراعي والوديان ومراقبة الطبيعة، علماً بأن صخب الأولاد لدى رؤيتهم حدوث امر مثير كان يضيع قسماً كبيراً من المتعة.

واثارت الغزلان اعجابهم. لكنهم حاذروا الاقتراب منها، وغالباً ما اطلقوا صيحات الاستهجان الخفيفة. وبعد اصطياد احداها، كانت



غزلان القطيع الباقية تولي الأدبار باتجاه التلال حيث تختفي.

وامطر الأولاد آندرو بوابل من الاسئلة أجاب عليها عادة بصبر نظراً الى اهتمامه الشديد بما جرى من حوله.

وسألت ماندا، التي ارتاحت لآندرو اكثر من غيرها من الأولاد وطرحت عليه اسئلة كثيرة:

«هل راقبت النسور وهي تطعم فراخها يا عم آندرو».

«اجل يا ماندا».

«هل تسلقت الهضبة لتقترب من العش؟».

«بالفعل تسلقت. لكن هذا يجري منذ وقت بعيد».

فسأله سيمون بشغف:

«هل كانت العملية خطرة؟ وهل يمكننا نحن ان نتسلق المرتفع؟».

اجاب آندرو:

«لم تكن العملية خطرة. الا انه من الصعب عليكم ان تتسلقوا الآن لا سيما اننا لا نعرف اين توجد الاعشاش».

فعلق روبي:

«فريديث يعرف. فقد قال انه راقب احد الاعشاش. ووجد فيه بيضتين قد فقستا».

تعجب طوماس:

«بيضتان فقط؟ هذا قليل جداً».

لكن آندرو اكد له:

«النسور تضع بيضة واحدة في العادة».

وهنا توقفت ماريلين، التي كانت تركض امامهم برفقة شنا، لتستوضح آندرو:

«لماذا توفي احد الفرخين؟».

«لا بد انه كان عصفوراً ضعيفاً. هل قال فريديث كم كان عمره حين مات يا روبي؟».

«مات بعد ان بلغ ستة اسابيع من العمر، واصبح حجمه كبيراً مثل بقية فراخ النسور».

«حسناً. ان انثى النسر تطعم فراخها في الاسابيع الأولى. فتتقاسم

الفراخ الطعام فيما بينها. ولكنها حين تبلغ الاسبوع السادس من العمر، تترك لها امها الطعام وتتوقع ان تتقاسم هي الغذاء بدون مساعدتها. فاذا كان احد الفرخين ضعيفاً، التهم الفرخ الآخر الطعام كله».

فعلق روجر:

«هذا هو الاختيار الطبيعي».

«تماماً».

استفسرت شنا:

«ما هو الاختيار الطبيعي؟».

لم يجب آندرو على سؤالها، بل اكتفى بمداعبة شعرها. ولما عادت الى استيضاحها، قال:

«ستتعلمين الأمر عندما تكبرين».

ثم صاح فجأة:

«انظروا. هناك نسر على قمة الصخر».

وتوقفوا جميعاً للحال، وقد اخذهم الاعجاب بينما راقبوا عرضاً رائعاً لنسر ذهبي انقض بمحاذاة الصخر بدون ان يفرد جناحيه فتحة كاملة. ثم ارتفع ليبسط جناحيه وينطلق بسهولة عبر الوادي الواسع، وعاد يحلق بسهولة نتيجة مهارته في مجاراة تيارات الهواء.

«لا بد ان عشه في اعلى الصخر، اليس كذلك يا بابا؟».

اطرق آندرو. ثم اجاب:

«اجل يا روبي. انظر انه يحط هناك».

واختفى عن ابصارهم بسرعة. فاستأنفوا سيرهم في ممر يعلو الوادي. وهتف هاري:

«ما اعظم حجمه. كم اخشى ان يهاجمني».

فعقبت زوجته:

«لا تنقض النسور على الرجال، اليس كذلك يا غابل؟».

فقهقهت مؤكدة انها لا تعرف. وتولى آندرو الرد عنها:

«بوسع النسور فعل ذلك ان اقتربت كثيراً من عشها. والواقع ان هذا معروف منذ القدم. غير انه نادر. وفي اي حال، لا يتعدى عمله عرضاً بجناحيه يقصد به التخويف. وقد تعرض احد صياديّ لهجوم من هذا



النوع. والحقيقة ان النسر لم يمسه بسوء».

«هل صحيح ان النسور تخطف الحملان؟».

«اجل. انها تخطف الحملان، وتقتنص الثعالب. واسارع للقول ان جراء الثعالب او بالاحرى بقاياها التي لا تؤكل غالباً ما تشاهد خارج اعشاش النسور».

استغربت غابل، وقالت:

«يسهل علي تصور نسر يخطف جرو ثعلب. اما الحيوانات الكبيرة. . . افلا تقاوم تلك الحيوانات النسر؟».

تطلع آندرو اليها، ورد:

«احسبها تقاوم بعض الشيء. لكن، هل حدث ان رايت مخلب النسر؟».

جاوبته وهي ترتعد خوفاً:

«كلا. ولا اظن اني ارغب في الاقتراب منه لرؤية مخالبه».

وهنا، علق روبي بتبسط:

«لا يتزعج ابي اذا خطفت النسور بعض الحملان، اليس كذلك؟».

«بالطبع انزعج. كيف يسعك ان تفكر بهذه الطريقة؟».

«انك لا تصطادها. وكذلك مريديث لا يفعل لها شيئاً علماً بانه يجن عندما يجد ثعلباً ويطارده ليدمر وجاره».

«صحيح اننا لا نقتل النسور. ولكننا لا نرحب بخطفها الحملان».

علقت بيث بحزن:

«يبدو لي ان كل مخلوق يسعى لقتل الآخر».

اوضح آندرو:

«لا مفر من ذلك بين حيوانات الغابة. والحيوانات عادة تقتل بعضها لتكسب قوتها. وكم احزن احياناً على الثعالب التي لا بد يتملكها اليأس عندما يتوجب عليها اطعام جرائها النهمة».

لم تتوقع غابل ان تسمع منه هذه الكلمات. فرفعت رأسها مبتسمة وقد اطمأنت، وغمرها الفرح والدفء. فتطلع اليها آندرو قائلاً:

«اجل يا غابل. ان لي قلباً».

# ٧- قلب مريض

انقضى الوقت بسرعة مذهلة. وقبل انتهاء العطلة بيومين، وجدت ميلدر نفسها تخاطب غابل والكآبة تعلو وجهها:

«لم استمتع بعطلة مثل هذه، وكم أمقت العودة الى المنزل. واني أرجو ان تدعينا ثانية. فهلا فعلت؟».

ابتسمت غابل فيما هزّت رأسها. فقد سرّت بنصيحة شقيقتها. الا ان السعادة، التي حصل عليها آندرو من الراحة والتغيير، كانت الأمر الأهم بالنسبة اليها. فالمعروف ان روجر صديق قديم لآندرو. لكن هارفي شارك آندرو في العديد من الآراء والاهتمامات. وعليه، أمكن غابل ان تتوقع زيارات أخرى.

وبعد ظهر اليوم الذي سبق رحيل الأسرتين، اقيمت حفلة عيد ميلاد شنا. وكان آندرو قد اقترح تقديمها بضعة أيام ليتسنى لأولاد خالتيها حضورها. وساهمت الشقيقات الثلاث بالقسم الاكبر من الاستعدادات. فتعجّب آندرو للأمر عندما سمع به. وبدا انه لا يفهم لماذا تأخذ زوجته وشقيقتاها على عاتقهن مهمات عمال المطبخ. فأوضحت ميلدر:

«تحب الأم ممارسة هذا النوع من العمل بقصد التعبير عن حبها».

ولم تكن غابل لتقول ذلك لأنها لمحت حركة مفاجئة في عيني آندرو، الذي تأمل وجه زوجته المعبر بينما همس:

«كم أنا سعيد لأني تزوجتك».

أجابته وقد احمرت خجلاً:

«شكراً يا آندرو».



وسألت بيث زوجها فور انضمامه اليهم:

«هل ستحضر الحفلة؟».

لم يستطع ان يرد بأكثر من:

«حسنا. . .»

فشددت عليه بيث:

«ينبغي ان تحضر. لماذا لا تحاول التهرب والاختلاء بنفسك».

ووجهت كلامها الى آندرو ايضا، فيما ضحكت. فتطلعت غابل الى زوجها وهي على أتم الاستعداد لرؤية حاجبيه يعقدان قليلا قبل ان ينطق بجملة لبقة توقف بيث عند حدها. لكنها دهشت اذ لم يرد، بل اكتفى بالضحك. وهنا اضافت بيث:

«بامكانكم ان ترفهوا عن الأولاد. فنحن لا نريد رؤيتهم الا في وقت تناول الشاي».

فاحتج هارفي:

«اسمحي لي بكلمة. ليست رعاية الأولاد من اختصاص الرجال».

اتسعت عينا بيث، وأجابت بصورة حاسمة:

«انكم مسؤولون عن انجابهم. وعليكم بالتالي تحمّل نصيبكم في رعايتهم».

وقهقه آندرو فيما وعدها بلطف:

«سنخرج بهم الى الروضة ونسليهم».

واقترح سيمون بينما ناقشوا النشاطات التي يريدون القيام بها:

«هيا نلعب في المرج».

فقالت امه:

«لم تغب عن المرج طوال الوقت الا لحظات معدودة. ويبدو ان اسرتنا ستصدر للعالم لاعب غولف من الطراز الأول».

«أما أنا، فأحب ان العب الكريكيت».

«لدينا الوقت لممارسة الرياضتين، وربما السباحة ايضا».

واستعملت قاعة الطعام بكاملها لأنه علاوة على الاولاد الستة، فقد دعي ما يزيد على عشرين من رفاق شنا وروبي. وظلت غابل وشقيقتاها يعملن الى حين الغداء. فزيّن الغرفة بقصاصات الورق الملون والبالونات

والأضواء البراقة اضافة الى كميات كبيرة من الأزهار. وقررن تحضير الطاولة لدى الانتهاء من الغداء حيث سيجلس الرجال الثلاثة مع اولادهم، وتقوم الشقيقات الثلاث بخدمتهم. ولما حان الغداء، دخل روبي وشنا مع والدهما أولاً. وقال روبي:

«سنغسل ايدينا».

ثم انطلقا الى حمام يقع في مؤخر الممر. فعلّقت هيلدر وهي تنقل نظرها بين آندرو وغايل:

«لو كان ابني وابنتي هنا، لاصرّا على مشاهدة الغرفة مع علمهما المسبق بأنهما سيطردان منها».

ردّ آندرو بشيء من المرارة:

«لم يتعود روبي وشنا رؤية الغرفة مزينة. وهذه المرة الاولى التي تحدث فيها مثل هذا الأمر».

«المرة . . .».

وتمالكت هيلدر نفسها اذ ادركت عدم لياقتها، فأضافت:

«ستكون مفاجأة سارة لهما».

وردّ وهو يوزع نظرات الامتنان بين الشقيقات الثلاث:

«بكل تأكيد».

كانت مفاجأة حقاً. فحفلات عيد الميلاد السابقة، التي نظمتها مربيات لم يكترثن بالأولاد ولم يرغبن بمزيد من العمل الاضافي، لم تتعدّ ملء الطاولة بشطائر اللحم المقدد والكعك وسائر أنواع الأطعمة التي يؤمر عمال المطبخ بتجهيزها. اما الشقيقات الثلاث، فتميزن بخبرتهن الواسعة في اعداد حفلات الاطفال، خصوصاً ان غايل أبدت حماسة ونشاطاً بالغين في هذه الأمور.

وفيما عملت الشقيقات الثلاث على ترتيب الطاولة، انشغل ازواجهن باستنباط الألعاب والمباريات والجوائز للفائزين من أفراد الأسرة المتزايدين عدداً، او لكل الحاضرين من الأولاد في الحقيقة. واقترحت هيلدر:

«أرى بما انه لم يستمتع أي من شنا او روبي بمأدبة مثل هذه من قبل، فعلينا ان ندخلهما اولا حتى يلقيا نظرة دقيقة وشاملة على الغرفة».

فوافقت بيث قائلة:



«فكرة حسنة. سأذهب واحضرهما».

لكنها عادت بآندرو ايضا. فوقف في الباب. والتفتت غايل اليه، وظنّت انها رأت حركة انفعال في حلقه. وطوّقت شنا غايل بذراعيها هامسة:

«ماما. ماذا فعلت؟ لم تقم لي حفلة مثل هذه من قبل. انها رائعة».

تأمل روبي وشنا الغرفة بجذل واعجاب هنيهة. ثم قالت شنا لأندرو:

«أليست غاية في الروعة يا بابا؟».

«انها كذلك يا شنا».

وبدا آندرو عاجزاً لبرهة عن النطق بأي كلمة اخرى. لكنه في نهاية المطاف نظر الى طفلته وطلب اليها ان تشكر خالتيها وامها للمجهود الذي بذلته. ففعلت على الفور. وابتسمن لها. وهنا لكزت هيلدر غايل لتنبهها الى روبي الواقف جانباً بعينين متسعتين وقد سال لعابه فيما ركّز بصره على الطاولة. ولما ادرك ان الجميع يحدق فيه، سأل:

«هل ستقام لي حفلة مثل هذه؟».

فأجابت غايل:

«طبعاً يا روبي».

اما زوجها، فأضاف:

«الا ندعو خالتيك لحضور الحفلة ومساعدتنا؟».

وأعلم هيلدر وبيث بموعد الحفلة:

«يصادف عيد مولد روبي عشية عيد الميلاد».

حملت كلماته دعوة واضحة. وذلّت قسمات وجهي السيدتين عن قبولهما لها. فأشاحت غايل بنظرها بعيداً وهي تحس انقباضاً في حلقها اذ لم يكن بوسعها استيعاب كل ذلك دفعة واحدة. وخشيت ان تفضح نفسها ان هي سمحت للدموع ان تسيل من مقلتيها. ثم سأل آندرو:

«هل ادعو الآخرين الى الداخل؟».

اطرقت هيلدر وقالت بأسف:

«اجل. فنحن مستعدون لهم. لكنك ستجلس وسط ضجة عظيمة. هل فكرت بذلك؟».

ردّ بوضوح واصرار:

«سأستمتع بها للغاية».

وعمّت الفوضى ساعة او ساعتين قبل ان يحضر الآباء لاصطحاب اولادهم الى منازلهم.

وأدخلت شنا الى السرير وهي متعبة لفرط سعادتها. وبعد ان ادخلت غابل الاغطية تحت فراش شنا، جلست الأخيرة وطوقت غابل بذراعيها قائلة:

«كم احبك يا ماما. اني احبك حباً جماً. وأشكرك لحفلتي الرائعة هذه».

تجاهلت غابل الجملة الأخيرة فيما أجابت وقد ظهرت البحة في صوتها:

«وانا أحبك يا حلوتي الصغيرة. اما الآن، فتصبحين على خير يا حبيبتي».

شعّت عينا غابل بالفرح حين انضمت الى بقية الجماعة حيث ارتمت شقيقتاها على الأريكة منهكتين. وتناولت هيذر الكوب من آندرو شاكرة:

«اني ادعي دوماً اني لن أقيم الحفلات. فأنا الآن منهكة للغاية».

فرمقها آندرو بنظرة امتنان. وأجابها:

«لا أعجب من قولك. فقد عملت عمل الابطال. وأؤكد لك ان شنا لن تنسى هذه الحفلة طوال حياتها».

فقاطعته بيث وهي تتظاهر بأن عملهن لم يكن جباراً الى هذا الحد:

«لم تتخلفوا انتم الرجال عن أداء دوركم. ولا أظن ان النجاح الا نتيجة عملنا المشترك ضمن فريق واحد».

فعقب زوجها ومسحة الحزن ترن في صوته:

«شكراً. لقد أخذت اتساءل اذا كانت مساهمتنا تستحق الشكر أم لا».

وذهب جميع أفراد الأسرتين في اليوم التالي باكراً عند الصباح. ولم ينس آندرو ان يوجه لهم دعوة بالرجوع في غضون أسابيع قليلة للمشاركة في الصيد. فاضطر مارتي للاعتذار لأنه غير ماهر في الصيد، ولا يستطيع الحصول على اجازة أخرى من العمل. اما روجر، وهو يعمل لحسابه، فقد قبل الدعوة، وفرح ولداه لأن بوسعهما ترك المدرسة بضعة أيام ومرافقته مع امهما.

الا ان آندرو نظر الى الطفلين الآخرين وقد اكتأبا. وقال:

«لا بد ان تحضروا جميعاً في عيد الميلاد».



أطرق مارتي:

«كم نتوق الى مثل هذه المناسبة. ونحن شاكرون دعوتك يا آندرو».

واستقل الجميع السيارتين لينطلقوا بعيداً، فيما وقفت غابل في الساحة الامامية بجانب آندرو والطفلين يلوحون لهم بأيديهم الى ان احتجبت السيارتان من الممر المؤدي الى الطريق العام.

وبعد ان تناولت غابل الغداء مع زوجها، سألته:

«أود ان أسأل. لماذا لم تحضر السيدة دافيز؟».

ردّ باقتضاب

«اتصلت بها هاتفياً لأطلب اليها عدم الحضور».

ومع انه لم يقل كل شيء، فان غابل ادركت رغبته بعدم التعرض لما يعكر هناء عطلته. ووجود حماته يكدر الجميع بكل تأكيد.

وتضاءل جو المرح بعد استئناف آندرو عمله واحساس الصغيرين بعض الضياع بسبب غياب أولاد خالتيهما الذين ملأوا المنزل صخباً وضجيجاً. وتذمر روبي متنهداً:

«ألم يكن بوسعهم قضاء وقت اطول؟».

اما شنا، فتطلعت الى غابل بلهفة وتوسل:

«هلا قمنا برحلة؟».

«غداً يا حبيبتي. . . »

«لماذا لا نذهب اليوم؟».

«لأن جدتك قادمة لزيارتكما. وقد اتصلت هاتفياً صباح اليوم لتعلمني قدومها».

وعلمت غابل لرؤية الصغيرين يكشران. فقالت لهما:

«اني واثقة من فرحكما بزيارة جدتكما لكما. وأرجو ان تظهرا اللطف نحوها وتعبرا عن سروركما بقدومها».

ردّ روبي بانزعاج:

«سرورنا؟ اني لا أطيقها».

والتمعت عينا شنا، وهي تؤكد قول شقيقها:

«وكذلك انا. فان أنت اصطحبتني الى رحلة، فسوف لن نلتقيها».

امالت غابل رأسها موبخة:

«منذ قليل قلت لك يا شنا ان جدتك اتصلت بي هاتفياً هذا الصباح لتعلمني بزيارتها. فمن الوقاحة اذن ان نخرج حتى لا نراها. أليس كذلك؟».

فحملق روبي في غايل بعينين شعّ فيهما بريق ادراك غريب:

«هل ترغبين أنت بقدومها؟».

فردّت على الفور:

«هي تحضر لرؤيتكما لا لرؤيتي».

ولم تلبث ان غيّرت الموضوع بلباقة:

«اذا كان الجو لطيفاً وصحواً غداً، فسنستقل السيارة ونذهب بعيداً. ثم نتناول غداءنا في الغابة. فما رأيكما بهذا الاقتراح؟».

سعد الصغيران بالاقتراح. الا انهما عادا يكشران حين حضرت السيدة دافيز بعد قرابة ساعة. وبعد ان رفضت الجدة عرض غايل بتقديم المرطبات لها، اعلنت:

«سأصطحب الصغيرين الى المنزل لأن جدهما يرغب برؤيتهما».

«أنا لا أريد».

هنا تدخلت غايل:

«هيا. اسرعا في غسل وجهيكما وارتداء ملابسكما. هيا يا شنا، فأنا سأساعدك. اما أنت يا روبي، فاعمل ما أمرت به».

وفيما أعملت غايل الاسفنجة في وجه شنا فركاً وتنظيفاً، سألتها الصغيرة وهي تبكي:

«هل يجب ان نذهب يا ماما؟».

اجابت غايل بثبات:

«بالطبع، يجب ان تذهبا».

لكنها شعرت بالذنب لاجبار الأولاد على الذهاب مع الجدة. صحيح ان جدهما يستمتع بزيارتهما له، لكنهما يحساًن بالتعاسة. فهما ليسا كبيرين الى حد يسمح لهما بفهم الموقف، والادراك ان عليهما التضحية لاسعاد الآخرين احياناً.

ولما عاد الصغيران مغسولي الوجه وقد ارتديا ملابسهما الجديدة، رأت دافيز الكآبة على محياهما، فصاحت:



«لشد ما تسيطرين على الصغيرين وتستأثرين بهما. فهما لم يظهرا هذا القدر من الرفض سابقاً. لذا يجب ان احدث آندرو بالأمر».

ردّت غايل محاولة تبسيط الأمر:

«انه عارض طارئ. فقد استمتعا طوال الاسبوعين الماضيين برفقة أولاد من عمرهما. وهما الآن يشعران بالضياع».

فسددت المرأة الى غايل نظرة ازدراء وهي تقول:

«أتصور ان أولاد شقيقتك كانوا هنا. هل استحى آندرو بأقاربه حتى طلب الي الابتعاد».

تطاير الشرر من عيني غايل:

«لا يعتبر اندرو نفسه أفضل من أهلي يا سيدة دافيز».

ردّت بسرعة:

«اذن، لا بد انه قد تغيّر. فطالما اعتبر نفسه أرفع شأناً من الآخرين».

علّقت غايل ببرودة شديدة:

«لست أرغب في تناول زوجي وعائلتي معك في الحديث. أما الأولاد، فسيعدون للذهاب ساعة تستعدين أنت».

ثم راقبت غايل الصغيرين يبتعدان مع جدتهما. ولما ابتعدت عن النافذة في نهاية المطاف كان دمها يغلي حنقاً. لقد رغبت في الحفاظ على هدوئها، وتجاهل الملاحظات الوقحة التي اطلقتها تلك المرأة. الا انها كلما فكرت بها تفاقم غيظها. وأقل ما يقال انه من سوء الحظ ان تكون موراغ قد وصلت في هذه اللحظة بالذات وهي تستقل سيارة يقودها شاب رزي الملبس. راقب الفتاة تخرج أمتعتها بمفردها من صندوق لسيارته قبل ان يدور بها حول الساحة وينطلق بسرعة منحدراً الممر. وتبعت غايل الفتاة بنظراتها وهي تدخل البيت بخطوات غير ثابتة. وهنا طلبت موراغ الى غايل وهي تقيقه:

«هلا تفضلت باحضار بعض الشراب؟».

صاحت غايل في وجهها:

«يخيل الي انك تناولت ما فيه الكفاية. ثم، منذ متى يفترض في ان اخدمك؟».

وتقدمت الفتاة من احد المقاعد بخطى غير متوازنة:

«انك شديدة الغضب. فهل وقع شجار بينك وبين زوجك يا سيدة

مكتئبة؟».

وقفت غابل خجلة اذ رأت آندرو ينتصب في الباب خصوصاً انها تماطلت في أمر لا يعنيها. ولولا غضبها من ملاحظة السيدة فاميز عن أمرها، لما تدخلت. ثم دخل آندرو الغرفة مركزاً عينيه على موراغ وقد حل فيهما القلق محل الغضب، الأمر الذي ادهش غابل. وسألها:

«ماذا جرى يا موراغ؟ هل أنت مريضة؟».

ردّت موراغ وهي تنظر بحنق الى زوجة ابيها:

«لست في حالة جيدة».

مريضة... خفق قلب غابل خوفاً. هل اساءت الظن بالفتاة؟ ثم سألت بذعر وقد لاحظت ان موراغ ضغطت بيدها على قلبها:

«هل هي مريضة؟ لم أعرف... بل ظننت...».

وقف آندرو بجانب موراغ وأمسك معصمها فيما قال:

«صبي بعض الشراب المدفىء هنا. ثم اتصلي بالطبيب هاتفياً».

ناولت غابل الكوب لآندرو وهي تتلوى أمام نظراته. واعتراها الندم فسألته متلعثمة:

«هل حالتها خطرة؟».

ولما فطن آندرو الى اضطراب زوجته العنيف، هزّ رأسه بشيء من العصبية. وطمأنها فيما امسك الكوب:

«لا تقلقي. ولا تضطربي. ولكن، اتصلي بالطبيب كما قلت لك».

«سأفعل».

وهرعت غابل فيما تسارعت دقات قلبها اذ لمحت الجمود والخوف في وجه آندرو. هل كانت حالة موراغ خطرة فعلاً؟ وبعد ذهاب الطبيب وادخال موراغ الى السرير، برز الذعر والخشية على وجه غابل الممتقع فيما سألت زوجها:

«هل تحسب حال موراغ خطرة الى حد استدعاء الطبيب؟».

«لا أخاله يبالغ. فقلب موراغ مريض بالتأكيد، والطبيب يؤكد انه اذا لم تشف عن طريق المعالجة بالحبوب، فلا بد من اخضاعها لعملية جراحية».

اطرقت غابل وقد خفضت ناظريها واجتاحها شعور عارم بالذنب لأنها لم تفطن الى احتمال مرض موراغ فوراً. وقالت بشيء من الغم:

«اني آسفة. فأنا لم اتصرف بلطف تجاه موراغ ساعة دخولها... بل الحقيقة اني اغتظت منها الى حد اني دفعتها لاجبارها على الجلوس. آندرو، هل تظن اني بسلوكي قد اسأت اليها؟».

استدار آندرو من موقفه قرب غابل عند النافذة حيث يتسنى لها مراقبة العصفورين يحطان فوق الأراجيح. وتكلف ابتسامة بقصد طمأنة غابل:

«غابل، عزيزتي، ينبغي ألا تلومي نفسك».

«علينا ان نظهر لها العطف يا آندرو».

«اجل. يجب ان نكون غاية في العطف معها يا غابل».

ولم يحاول الشاب، الذي اوصل موراغ الى المنزل، ان يتصل بها هاتفياً. وعندما استفسر آندرو عنه بلباقة، اكدت انه احد اصدقائها الشبان، وانها لا تعلق عليه أي اهمية.

وعلّق آندرو بحزن:

«لم يسأل عنها أحد من اصدقائها الكثر. وأملي ان تعرف الآن قيمتها الحقيقية».

على ان روبن سأل عن موراغ ذات يوم حين قصد البحيرة للصيد. فتوقعت غابل ان ترحب الفتاة بزائر شاب. ولذلك دعته الى الدخول:

«هلا تفضلت بالدخول والتحدث معها؟».

اجاب روبن:

«لست أدري. فمع تأكيد احترامي الشديد لك يا غابل، لا امسك القول بأني لا احترم الفتاة ولا اقدرها».

«هل يؤثر ذلك في شيء؟ انها رهينة البيت بشكل دائم. ولعلها تشعر بالملل والكآبة. فهيا ادخل وتحدث اليها يا روبن».

واخيراً وافق:

«حسناً. سأدخل وأحادثها».

وتولت غابل تعريفهما بعضهما بدون ان تدرك النتائج التي انطوى عليها عملها، خصوصاً ان موراغ لم تتغير. فما ان ذهب روبن حتى قالت لغابل بسخريتها ووقاحتها المألوفتين:

«ما الهدف من عملك؟ لا تحسبي ان باستطاعتك استعمالي لتحقيق

أغراضك. فروبن صديقك، وليس صديقي. وسأحرص على الا يخدع والدي».

هال الأمر غايل. فحدقت اليها برهة وهي عاجزة عن تصديق ما سمعت واخيراً قالت:

«كيف تجرؤين يا موراغ على هذا القول؟ فأنا أحضرت روبن على أمل ان تكون صحبته تغييراً ممتعاً لك. فروبن لا يعني لي شيئاً، وكذلك انا بالنسبة اليه».

ظهر بريق الشر في عيني موراغ وهي تعلق:

«يا لك من ممثلة بارعة. لكن براعتك لن تجدي نفعاً يا سيدة مكنيل. ومع اني لست أدري كيف استرضيت والدي في المرة السابقة! خصوصاً انه غضب اشد الغضب عندما أخبرته عنك وعن روبن، فاني اؤكد لك انك لن تخدعيه ثانية. فأمي كانت خائنة مثلك».

لم تفه غايل بأي كلمة لفرط ما أصابها من خيبة أمل واشمئزاز. غير ان موراغ تابعت حديثها وقد سرت بما رأت من تعابير ترتسم على وجه غايل

«لا يحتاج المرء الا ان يراقب نظرات روبن اليك حتى يعرف ما ينكها. «نظراته؟».

انقطعت غايل عن الحديث وقد علت وجنتيها حمرة ضئيلة اذ تذكرت قول روبن بأن من سوء حظه ان تكون متزوجة. غير انها ضحكت آنذاك ولم تحسب ان قوله انطوى على أي معنى خفي. لكن قلقاً غريباً راودها عندما أراد روبن الصيد. ثم استرجعت غضب أندرو ومنعه لها من مخاطبة روبن ثانية. ولا ريب ان موراغ هي التي أثارت شكوك أندرو. بيد ان سعيها لخلق شرخ دائم في علاقته مع زوجته لم يفلح. فازداد تقرباً من غايل، الأمر الذي حير موراغ أعظم الحيرة وقالت بصوت خافت وضعيف:

«انك تتصورين اموراً لا أساس لها».

قهقهت موراغ وتراجعت فوق الأريكة بحيث القت رأسها فوق المساند وهي ترد:

«هل خفت؟ ان خوفك سيتضاعف عندما تثار شكوك أبي بصورة جدية. فأنت لم تري مثلي الجانب المتوحش في شخصيته. لكنك سترينه ان لم تأخذي حذرك. ولو كنت تعرفينه على حقيقته، لما سمحت لصديقك



بزيارتك هنا. ولا شك ان لديك فرصاً كثيرة لمقابلته في الخارج. ولو كنت مكانك، لقابلته أثناء دوام روبي وشنا في المدرسة».

تقززت غايل وهي تسألها:

«الم تتغيري ولو قليلاً؟».

«أتغير؟ ولماذا أتغير؟».

«ظننت ان مرضك جعلك تعقلين وتدركين الأذى اللاحق بك نتيجة حياتك المستهترة».

استوضحتها موراغ باهتمام:

«أي حياة تقصدين؟».

«طالما تباهيت بقدرتك على السهر طوال الليل خصوصاً في تلك الحفلات التي حضرتها، وبقدرتك على الشرب والتدخين. وهذه كلها امور تضر بك وتؤذيك. وقد جعلتك مريضة».

«لست مريضة. فأنا قد تعافيت».

«ما زال عليك التزام جانب الحذر. وأنت تدركين انك لم تتحسني وتشفي».

تقلصت عضلات فم الفتاة، وأجابت:

«لم أتحسن وأتعافى فقط، بل اني ذاهبة عما قريب. والبارحة اتصلت بأحد اصدقائي. فدعاني للانضمام اليه والى ثلة من الاصحاب المصممين على قضاء اجازة في مكان بعيد».

جفلت غايل. وسألتها اذا كانت قد أبلغت والدها. فلما هزت الفتاة رأسها نفياً، سارعت غايل للنطق قبل الفتاة:

«اذن، سأخبره. فمن غير المعقول ان تعصي أوامر الطبيب القاضية بالراحة التامة».

التمعت عينا الفتاة تهديداً ووعيداً. ورفعت رأسها عن المساند لتنحني الى الأمام وتقول:

«ستدفعين ثمناً باهظاً ان فعلت».

كشرت غايل وهي تستوضحها:

«هلا تفضلت بافهامي ماذا تقصدين؟».

«أقصد اني استطيع اعلام أبي بأمرك أنت وروبن. أخبريه اني ذاهبة،

وساعلمه انك احضرت روبن الى هنا اليوم».

امتعضت غايل الا ان تصميمها لم يهن. وأكدت عزمها على اطلاع آندرو على نوايا موراغ. واستغربت جفاف فمها حين انهت حديثها:

«ساعلمه لماذا احضرت روبن. وهو لا شك سيصدقني».

«أخشى الا تطابق توقعاتك تفكيره. فلا احد يستطيع لوم أبي لظنه السوء بكل النساء».

ثم اضافت ضاحكة:

«امي اولاً، وانا من ثم . . .».

وقهقهت موراغ بصلف ثانية. فتحولت غايل عنها لعدم قدرتها رؤية الشر يرتسم على قسمات الفتاة.



# ٨- الماضي ملكي وحدي

ما ان اطلع آندرو على الاخبار من غايل، حتى اندفع فوراً لمواجهة موراغ وغضبه يشتد مع كل خطوة خطاها. وفتح الباب ثم اغلقه بعنف عندئذ صعدت غايل الى غرفة نوم الصغيرين حيث شغلت نفسها بترتيب كتبها والعابها منتظرة بقلب خافق ردة فعل زوجها، ومع انّ غايل ارتجفت لذكرى الشجار المرعب، فانها تصورت ان آندرو سيعتبر اقاويل موراغ محاولة للانتقام واظهار خيبة الامل بكل تأكيد.

وما لبثت ان سمعته يصعد السلم درجتين درجتين. وتساءلت اذا كان قد بحث عنها في الطبقة السفلى، واذا كان بحثه قد زاد من غضبه . . . فاذا كان غاضباً . . .

ولمحت تشنج فكيه واسوداد عينيه الزرقاوين الفولاذيتين وهو يدخل الغرفة ثم يقف ليتأمل زوجته بعض الوقت قبل ان يصيح:

«هل فعلاً ادخلت روبن الى المنزل اليوم؟».

ردّت وهي ترفع احد كتب روبي امامها كوسيلة لحمايتها او درع لصد هجومه الوشيك:

«فعلت ذلك يا آندرو على امل توفير السلوى لموراغ».

كشّر تكشيرة حادة ملأت غايل احساساً بالظلم وذلك قبل ان يتفوه بكلمة.

«سلوى لموراغ؟ هل تخالني اصدق ذلك؟».

«بم تتهمني يا آندرو؟».

«لقد طلبت اليك ألاّ تخاطبي الرجل ثانية».

سدّدت اليه نظرة ثابتة فيها تألّقت عيناها دليلاً على تزايد سخطها:

«ليست المراوغة من طبيعتك. فأنا قد سألتك سؤالاً محدداً. وفي اي حال، اعتقد أننا سوينا مسألة مخاطبتي لروبن. انت ما زلت تسمح له بزيارة البحيرة».

استمرّ في التملص من الردّ عليها:

«أود أن اعرف سبب زيارته».

«قلت لك اني حسبته سيلي موراغ».

ثم قال آندرو بلهجة جارحة:

«في المرة السابقة جعلت الصغيرين وسيلة لتبرير اللقاء، اذ ادعيت انهما رغبا بمرافقة هذا الرجل...».

اجابت مرتجفة:

«لا شيء يدفعني لخلق الاعذار. فلا احد يختلق الاعذار إلاّ اذا كان لديه ما يحرص على اخفائه».

«أوليس لديك ما تخفينه؟».

احمرّت خجلاً:

«لا شيء على الاطلاق. وفي أي حال، كيف تجرؤ ان تحدثني بهذه الطريقة؟ وكيف تتجاسر ان تضعنا في المستوى نفسه... المستوى...؟».

توقفت لعجزها حتى في ساعة غضبها ان تذكّره بخيانة زوجته المتوفاة له.

ثم استطردت وقد تمالكت اعصابها اكثر من ذي قبل:

«تصوّرت ان فهمك لشخصية موراغ يجعلك تدرك ان اقاويلها نابعة من حقدها عليّ».

امتقع لونه قليلاً. وادركت انه فوجىء اذ علم انها سمعت قصصاً عن زوجته المتوفاة. واسترجعت قوله اثناء شجارهما الاخير أنّ هناك مبررات لشكوكه. الاّ انه رفض الافصاح عن تلك المبررات لعدم رغبته الطبيعية بالتحدث عن الماضي وذكرياته الاليمة. وسألها بسرعة وهو لا زال يتفحصها فيما التمعت عيناه صرامة وشكاً:

«ما هو السبب وراء افتراضك أنّ موراغ تحقد عليك؟».



«لست صريحاً كعادتك».

ازداد بريق عينيه. فخشيت ان يهزها ثانية ان هي تمادت في مخاطبته على هذا النحو. وكلمها ناصحاً:

«حاذري غضبي. الا تذكرين تنبيهي لك؟».

لم تجب، بل تحولت جانباً لتضع الكتاب على مكتب روبي الصغير. اما هو فرجع الى الحديث عن روبن:

«فيما يخص هذا الرجل، فانه لن يزورنا بعد اليوم. هل هذا واضح؟».

واجهته غايل مجدداً:

«اذا قصدت انه لا يمكن ان يزورنا، فانه لا يمكن ان يفعل».

صمتت غايل قليلاً اذ رأت دهشته امام قبولها لسلطانه. ثم قالت:

«سألتك عما تتهمني به».

وهنا راقبته عن كثب. فلاحظت تضاؤل غيظه مع بقاء التشنج في فمه:

«لا اتهمك بشيء في الوقت الحاضر. لكني انوي الاّ ابدو مغفلاً من جديد. اجل. فمن الواضح انك تعرفين شيئاً عن تجربتي السابقة. ولذا لا داعي لنصحي بعد اليوم. فزوجتي هذه المرة ستتصرّف بالحشمة واللياقة التي يفرضها مركزها عليها. وعليه، لا اريد ان يزورنا الرجال اثناء غيابي. احفظي هذا جيداً، والاّ حولت حياتك جحيماً».

وتركها مع هذا التحذير القاسي وهي منهكة وتعسة كما كانت في المرة الماضية.

ولما خرج، جلست والدموع تملأ عينيها. لماذا انقذت موراغ ودفعت هذا الثمن الباهظ من راحتها؟ لقد كان الصمت اسلم الطرق وأفضلها. لكن غايل فعلت ما أملاه عليها ضميرها مراهنة على ثقة آندرو بها. لكن رهانها خسر. ومع ذلك، علمت انها ستفعل الشيء نفسه حتى في اشد حالات تعاستها لان الواجب يحتم انقاذ موراغ من آثار طيشها.

كان الصغيران يتلقيان درساً في الرقص. واجفلت غايل عندما اكتشفت الوقت. فاسرعت في نزول السلم حيث التقت آندرو الذي صاح بدون ان تبدو عليه امارات اللين أمام منظر الدموع في عينيها:

«كنت سأرسل في طلبك لانك ستتأخرين على الصغيرين».

ارتعشت شفتاها للحدة في صوته.

هتفت ثينا بحماسة وهي تدخل السيارة بعد قليل:
«ماما، كم سيمر من الوقت قبل ان يصل سيمون ومانا؟»،
«ثلاثة ايام. وسوف تنقضي بسرعة».
«كم سيسعدني لقاؤهما. هل سيقضيان عندنا وقتاً طويلاً؟».
«اعتقد انهما سيمضيان معنا اسبوعاً على الأقل».
«هذا وقت طويل. آه، كم اتمنى لو يحضران غداً. فأنا لا اقوى على الانتظار».
اما روبي، فحضر على مهل وهو يتأمل غابل. ثم قال بنبرة قلق غير مألوفة في اولاد من سنه:
«هل كنت تبكين يا ماما؟».
«ابكي؟ كلا......».
توقفت قبل ان تنكر مكرهة لعدم رغبتها بأن تكذب عليه:
«احسست بألم بسيط يا روبي».
«ألم؟ هل خف الآن؟».
استقل روبي السيارة. ثم انحنى فوق مقعدها مضيفاً:
«لا اطيق ان تتألمي».
«الآن، خف الألم يا حبيبي».
لقد تيقنت انه سينسى الأمر. لكنه ما ان دخل المنزل حتى بادر آندرو:
«كانت امي تبكي لأنها شعرت بالألم».
لم يبال آندرو، بل ألقى عليها نظرة ساخرة. فأضاف روبي مكشراً:
«ألا تهتم بألم امي؟».
علّقت غابل بعجلة:
«قلت ان الألم قد خف».
«أجل... ولكن، لا بد انه آذاك والا لما بكيت. ابي...».
«تقول امك ان الالم قد خف. لذا اقفل الحديث».
تملكت الدهشة الصغير للقسوة في كلام والده. فارتعشت شفتاه وخرج آندرو بعد أنّ وجه النظرة عاتبة الى غابل. وللمرة الاولى في غضون أسابيع تناول الصغيران وغابل الشاي بمفردهم.
من الطبيعي أنّ موراغ لم تخفف فضولها امام غابل. فوالدها اخذ كل



نفوذها، وطلب الى السيدة بيرشن ان تشدد الرقابة عليها خلال النهار. كما أمر بان تنام احدى الخادمات في الغرفة معها اثناء الليل. ثم انذر موراغ:
«اذا عدت الى اي من تصرفاتك الطائشة، فانك ستصابين بنوبة اخرى وتحملين الى المستشفى فوراً».
ووجهت موراغ التهمة الى غابل:
«هذا كله من عمل يديك. انك بغيضة وحاقدة... واني اكرهك».
اجابت غابل بسرعة لخوفها من عواقب اثارة الفتاة:
«لم اتصرف الاّ بوحي من مصلحتك الخاصة. فانت تحتاجين كثيراً من الراحة. ولن تحصلي عليها اذا ذهبت لقضاء اجازة مع اصدقائك».
«اذن، هناك من يهتم بي. اليس كذلك؟».
امالت غابل رأسها:
«أجل يا موراغ».
«لقد حذرتك باني سأطلع ابي على حقيقة علاقتك بروبن...».
«ان أقوالك باطلة. ولا تتعدى كونها اكاذيب».
«ليس ما تقولينه صحيحاً. لذا لا تتظاهري أنّ براءتك قد طعنت. هل تصرف والدي معك بحنون؟ لقد كان في اشد حالاته غضباً عندما تركني».
أطلقت غابل تنهيدة عميقة. ولم يكن هناك ما يرضيها الاّ ان تصفع الفتاة. ولكنها لم تجرؤ على خلق وضع يهيج مشاعر موراغ.
«سأريحك. واخبرك بان اكاذيبك خلقت شرخاً لا مبرر له بيننا. اوليس عندك ضمير؟ اولا تخجلين من نفسك ابداً؟».
قهقهت موراغ بعدم اكتراث:
«كلا. اما من حيث الضمير، فأنا سعيدة بان ليس لي ضمير».
وتوقفت الفتاة لتتأمل غابل بمرح:
«اذن، والدي مغتاظ منك هذه المرة... وكم تبدين كئيبة. انني سعيدة لانه عرف حقيقتك آخر الأمر. فلا بد أنّ اللين قد عرف طريقه الى قلبه في كهولته».
صححت غابل قول الفتاة:
«لا بد انه اصبح اسعد من ذي قبل. لكنك افسدت عليه سعادته الآن».

«أسعد؟ وهل تعزين ذلك الأمر اليك؟».

«لم اقل ذلك».

«هذا ما قصدته. يا الهي، كم هو عظيم غرورك. ولكن، اسمحي لي يا سيدة مكنيل ان اؤكد لك انك لن تكوني اكثر من مربية. فلو تمنى ابي زواجاً سعيداً، لبحث عن امرأة يحبها، ولما تزوج بسيدة تهتم بصغيريه».

واتكأت موراغ على المساند فيما حدقت في غابل طويلاً والسخرية ترتسم على شفتيها:

«الا تدركين انك تضيعين وقتك؟ فهو لن يحبك. والافضل ان تقلعي عن هذه المحاولات».

تجاوزت غابل الموضوع ونبهت موراغ الى انّ الوقت قد حان لتناول الحبة.

«ساحضر لك كوب ماء».

نهضت عن الكرسي وهي تستغرب تخصيصها وقتاً للجلوس مع موراغ كل يوم. فمحادثاتها تزعج غابل دوماً. وهي تنزع الى ترك الفتاة وشأنها في المستقبل. الا انّها نبذت هذه الافكار. عند عودتها كانت موراغ قد استلقت على ظهرها فوق الاريكة وقد ازرقت شفتاها وضاق نفسها. فاستفسرت بخوف:

«هل عاودتك النوبة من جديد؟».

وتساءلت عن مكان وجود آندرو الذي ملأ البيت بحركته قبل نصف ساعة. ثم رفعت رأس موراغ بلطف:

«هيا. تناولي حبتك».

ابتلعت موراغ الحبة. ولم يمض وقت طويل، حتى تحسنت.

سألتها غابل:

«هل تشعرين ببعض الألم؟».

«يا لك من حمقاء. طبعاً انا اشعر ببعض الألم».

«سأستدعي السيدة بيرشن لتدخلك الى السرير...».

«لن آوي الى الفراش فقد قضيت في السرير اسبوعين طويلين جداً».

وقف آندرو في الباب مكشراً:

«ماذا جرى؟ هل اصيبت بنوبة اخرى؟».



فاطرقت غابل. وعاد يكرر سؤاله:

«هل كانت شديدة؟».

صرخت موراغ:

«لم تكن شديدة بالطبع. ولكنها تنوي التخلص مني. غير اني لن آوي الى الفراش».

علق آندرو بقسوة:

«ستري. غابل، استدعي السيدة بيرشن».

اعترضت موراغ. لكنها لم تقدر على مقاومة المرأتين اللتين ادخلتاها السرير فيما اتصل آندرو هاتفياً بالطبيب الذي امره:

«ابقها في السرير. وساعطيها الحبوب مدة اسبوعين آخرين. ثم ارى ماذا ينبغي فعله».

بقي الطبيب مع آندرو في القاعة. وبينما نزلت غابل السلم بعد ان تركت مديرة المنزل مع موراغ، سمعتهما يتحدثان. فسأله آندرو:

«اليس من الخير اجراء العملية فوراً؟».

ركز الطبيب نظره عليه وهو يقول:

«اننا اصدقاء قدامى يا آندرو. وآمل الاّ تنزعج مما سأقوله. لقد قوضت حياة موراغ كيانها. والعملية لن تعدو امراً متعجلا فيه».

«فهمت...».

بان الاضطراب والتجهم على وجه آندرو وهو يستدير مذهولا وينظر الى غابل، التي كانت قد بلغت أسفل السلم. فطار قلبها اليه وتمنت لو تقدر ان تعزيه. لكنه لحق بالطبيب بشرود، في حين سارت هي الى المطبخ لتعد الشاي للصغيرين.

استمرت القطيعة بينهما. الاّ انّ آندرو كان لطيفاً الى حد التظاهر بمودة مصطنعة تجاه زوجته خلال حفلة الصيد التي، بعد بعض التردد، قرر عدم تأجيلها. فليس بمقدوره ان يربح شيئاً من التأجيل. لانّ الممرضة تسهر على موراغ نهاراً، فيما تنام الخادمة في غرفتها ليلاً. علماً بأنّ هذا يخالف لرغبة موراغ، التي لم ترحب بمشاركة فتاة غريبة لها غرفتها.

وسمح دفء الطقس للرجال بالخروج يومياً للصيد. وتحدث زوجو آندرو وبعض اصدقائه الذين دعاهم للصيد، عن طرائدهم ومغامرهم

اثناء العشاء. فكانت غابل تتأملهم واحداً واحداً متعجبة من متعتهم في قتل الطيور الضعيفة. لقد شكلت الثعالب قضية مختلفة، وتوجب القضاء عليها لانها تقتل الحملان. لكن الطيور لم تكن تؤذي شيئاً على حد ما عرفت غابل. وذات مساء لاحظ آندرو فقدان غابل لشهيتها، فقال:

«غابل تكره هذه الرياضة. وربما توجب علينا تغيير الحديث».

التفتت غابل اليه شاكرة، لكنه لم يلبث ان حول بصره عنها. فلم تستطع ان تعرف ان كان قد تلفظ بهذه الكلمات، اظهاراً لمودته المصطنعة، او تقديراً لمشاعرها الحقيقية.

وفي اليوم التالي، أعلمها ايان، وهو احد الضيوف، ان احدى حولاتهم قد فشلت بسبب تحليق نسر كبير فوق منطقة الصيد. وكان مثيرو الطرائد يدفعون الطيور الى المرمى عندما احدث ظهور النسر خوفاً هائلاً بينها. ولم ترتفع هذه الطيور في بداية الموسم في الارض. لكن ظهور هذا العدو ادى الى طيران جماعي للطيور. فردت غابل بفرح بدون ان تكترث لاهتمامه بكلماتها او عدمه:

«انني سعيدة بهربها. فانا لست ادري كيف يمكنكم ان تكونوا قساة الى هذا الحد».

اطلق آندرو زفرة غاضبة وهو يذكرها باقواله:

«لقد اوضحت لك ان قتل الطيور واجب لتوفير الطعام لها. وعلاوة على ذلك، ان ازدياد عدد الطيور يؤدي الى تعاظم عدد الوفيات بينها».

وساند روجر صديقه اذ اضاف:

«وهنالك امر آخر. فنحن لا نحمل بنادق تطلق رشقاً من الرصاص دفعة واحدة».

استوضحته هيذر وهي لا تقل تعاسة عن شقيقتها ازاء هذه الرياضة:

«اي فرق في هذا؟».

«اننا نطلق طلقتين ثم نتوقف لملء بنادقنا من جديد، مما يعني ان امام الطيور فرصة للهرب».

ردت زوجته بسخرية:

«يا لكم من رجال لطفاء وكرام. اخشى يا روجر ان تكون محاولاتك لتبرير عملكم غير مقنعة وجدية».



والتمعت عيناها المليئتان بالاشمئزاز والتحدي بحيث ضجرعا المعبرتان عن الازدراء لمشاعرهما. وهنا دعتهم غابل بسرعة:

«هلا تفضلتم بالدخول الى البهو لنشرب القهوة؟».

هكذا هتفت هيذر باشمئزاز وهي تجلس بجانب غابل فوق الاريكة في البهو، فيما وضعت قهوتها على طاولة صغيرة امامها. اما الرجال، فتحلقوا للحديث عن الصيد، مما حوّل انتباههم عن المرأتين.

«حسبته تغير عندما كنت هنا في المرة السابقة لانه اظهر لطفاً تجاهك وتجاه بيت وتجاهي. لكن هذه المرة...».

وهزّت رأسها قبل ان تستطرد:

«انه لا يطيق النساء يا غابل، فكيف تجارينه؟ واني واثقة انه لو كان زوجي لضربته».

«لا شك انك ستندمين».

«صحيح؟ هل غيرت رأيك فيه؟».

أجابت غابل مكتئبة:

«لا استطيع ان اقول ذلك».

ولما لاحظت غابل تعبير شقيقتها المقنع والمستفهم، انتقلت الى رواية الاحداث التي اعقبت معرفتها البريئة بروبن. وبعد صمت قصير تابعت حديثها:

«لا يمكنني القاء اللوم على آندرو وحده. فقد عانى كثيراً يا هيذر، واصيب كبرياؤه. وهو الآن يتعذب. لقد غضبت واستفززته، لكني الآن اسفة اذ لم افهمه. لو اني عقلت ولم افقد السيطرة على اعصابي، لاظهر شاعراً تجاهي».

كان جواب شقيقتها السريع والحاد:

«هل سمحت له بأن يخيفك؟ هل تعنين ذلك؟».

هزّت غابل رأسها وقد غرقت في تفكير عميق بعض الوقت. وما ان لاحظت غابل ان شقيقتها تنتظر ردّها، حتى اضافت:

«لم يكن تصرفه ارهاباً بالضبط. فآندرو قلق ويخشى الشائعات. لذلك طلب مني الاّ اخاطب روبن ثانية. فثرت في وجهه الامر الذي جعله ينفجر ...».

انقطعت عن الكلام وهي تهز كتفيها بنعاسة:

«ونتيجة لذلك، تضاءلت مودتنا تجاه بعضنا».

عقبت هيلدر فيما تطلعت الى آندرو:

«لم يبد لنا منذ مجيئنا أنه يقسو عليك. لكن هناك تغيراً في تصرفه ومعاملته نحوك، علماً اني اتوقع انه يعتبر نفسه ناجحاً في اخفاء الأمر».

لم تفه غايل بكلمة، فيما مضت هيلدر مترددة:

«أما زلت تحبينه؟».

ضحكت غايل ضحكة رقيقة فيها الكثير من الدهشة:

«أوتظنين اني ما عدت احبه؟».

همست شقيقتها:

«انك مجنونة يا غايل. آه، لو انك انتظرت قليلاً».

«انتظر؟ ماذا انتظر؟».

«شخصاً لطيفاً حقاً. ولا بد انه كان سيظهر عاجلاً ام آجلاً».

«وماذا عن روبي وشنا؟ ماذا كان سيحل بهما؟».

لم ترد هيلدر بشيء، غير انه لم يكن من الصعب معرفة افكارها. لا شك ان شخصاً آخر كان سيبرز... ازعجت تلك الفكرة غايل كثيراً.

«هما بحاجة الي يا هيلدر... وانا بحاجة اليهما. وهذا قدري وقدرهما. ولو عاود الزمان دورته، لما تزوجت سوى آندرو».

وكانت منه التفاتة اليها، فاحمرت خجلاً. وضاقت عيناه كما تشنج فمه غيظاً لادراكه انه موضوع حديثها. واوقفها في القاعة وهي على اهبة الصعود الى سريرها وخاطبها ببرودة شديدة:

«اذا كان لا مفر من التحدث عني، فلتكن عندك اللباقة الكافية لذكري اثناء غيابي».

تألمت كثيراً في نفسها وجسمها. واجابته بعينين غائمتين:

«ربما لم تكن لتتكلم معي بهذه القسوة يا آندرو لو عرفت ماذا قلت عنك».

ومع انها تنبهت الى ارتخائه العفوي، فانها لم تعطه فرصة للتعقيب، بل تجاوزته وارتقت السلم بسرعة.

لم يقدر الاولاد الاربعة على ضبط انفسهم وهم ينتظرون انتهاء غايل



وهيلدر من اعداد الاطعمة والاشربة للرحلة. وسأل سيمون بعصبية:

«متى نذهب؟ اننا لا نريد كل هذا الطعام».

فدفعته هيلدر، وهي تقطع الفطائر على طاولة المطبخ:

«اخرج والا فلن اسمح لك بمرافقتنا».

احتجت غايل:

«هيلدر، من البديهي ان يضيقوا ذرعاً بالانتظار».

«لا ريب انك تتساهلين معهم كثيراً...».

وانقطعت عن حديثها لتلوح بيدها للاولاد المتجمعين عند الباب محذرة:

«قلت اخرجوا. كلكم».

ابتعدوا جميعاً وقد خفضوا رؤوسهم. فما كان من غايل الا ان ابتسمت لأن هذا النمط من المعاملة كان غريباً كلياً على روبي وشنا وذلك منذ دخول زوجة ابيهم المنزل على الاقل.

«انتظري وقتاً اطول بعد، ولن تعودي تسمحين لهم بارهاقك على هذا النحو».

وسألت غايل بعد دقائق قليلة:

«هل يمكنك ان تدبري امرك؟ فانا اريد ان اصعد قليلاً الى غرفة موراغ».

«أجل. بامكاني تدبر امري. ولكن، كم قنينة سنأخذ معنا؟».

«اثنتين. لقد صنعت الليموناضة للاولاد».

انتصبت موراغ في الفراش متجهمة الوجه. اما الممرضة، فجلست على الكرسي تقرأ صحيفة. وفيما تجاوزتها غايل، هزت رأسها مبتسمة لها. ثم جلست على السرير:

«كيف حالك اليوم؟ انك افضل بكثير».

اجابت موراغ بينما حدقت بحنق الى الممرضة:

«انني افضل بكثير. واريد النهوض».

اكتفت الممرضة برفع رأسها، ثم متابعة قراءاتها. فذكرت غايل موراغ بلطف:

«قرر الطبيب انه لمصلحتك ان تبقي اسبوعين في الفراش اذ يجب ان

تستريحي كلياً».

«اعرف ما تقتضيه مصلحتي. اين هو ابي؟».

«سيحضر سريعاً».

«لن يسمح لي بالنهوض. آه، كم اود ان اصرخ».

«لماذا لا تقرأين؟ هل افتش لك عن بعض الكتب واحضرها اليك؟».

«ان ما تختارينه من الكتب لا يسليني. وانا لا اريد ان اقرأ في اي حال».

سكتت قليلاً. ثم تابعت حديثها برقة:

«أريد سيكارة ادخنها بينما تذهب الممرضة لتناول قهوتها».

«آسفة يا موراغ. لن يجديني هذا نفعاً. فالطبيب شدد على الاّ تدخني».

«هل ترفضين بسبب اهتمامك بي، او بسبب خوفك مما سيقوله ابي؟».

لم تصبر غابل حتى ترد عليها.

نهضت، واختصرت زيارتها المقصودة. لكنها، ما ان اغلقت الباب، حتى تملكها شعور بالذنب. ولما عادت الى المطبخ قالت لهيذر:

«اشعر بلؤمي وانانيتي. وكم اتمنى لو يكون صدري ارحب واوسع لتصرفات موراغ».

«اوسع صدراً مع هذه الفتاة؟ أرى انك      اذا كنت تحمّلينها. فانا لم ازرها سوى مرتين، فرغبت ان افارق الفتاة قبل ان تنطق ببعض كلمات. انها لا تستحق اي اعتبار او اهتمام. وكل ما روي عنها ليس مبالغاً. وليس من الصعب تبيان ذلك».

فهمت غابل وكأنها تسأل نفسها بحزن:

«ولكن، ماذا سيحل بها؟».

«لماذا تهتمين بمصيرها؟».

«لانه من المخزي يا هيذر ان ترى فتاة تدمر حياتها فيما تعجزين عن مساعدتها في اي حال».

تنهّدت هيذر بيأس فيما قدّمت اقتراحاً عملياً:

«تناسيها الآن. ودعينا نستمتع بوقتنا. هلاّ وضعت السلة في السيارة واخبرت الاولاد أننا مستعدون ريثما اصعد الى الطبقة العليا واحضر حقيبة يدي».

قادت هيذر سيارة زوجها عبر الطريق المؤدي الى شواطىء بحيرة طفل



الراحة حيث تظلل الطريق أشجار الصنوبر العملاقة القائمة عند اسفل التلال الشاهقة الواقعة على جانبي البحيرة. ولما اقتربوا من شاطىء البحيرة الغربي، سألت مانداً:

«هل يمكننا ان نتوقف هنا؟ فنحن نرغب في اللعب في الاحراج».

«نتوقف؟ الآن؟ الا تستمتعون بركوب السيارة؟».

«اجل. ولكننا نود ان نلعب قليلاً».

«ما رأيك يا غابل؟».

«المكان جميل هنا. واظن انّ علينا السماح لهم بالركض واللعب لافراغ بعض نشاطهم».

قهقهت هيذر:

«كان بامكاني ان اتوقع ذلك فلا شك انك ستفسدين الصغيرين قبل ان تتركيهما».

ردّت غابل بثقة:

«لا أوافقك في ذلك».

ارتشفت غابل وهيذر قهوتهما عند ضفة البحيرة، فيما لعب الاولاد الاربعة في الاحراج وصخبوا. وبعد ان ساد الصمت طويلاً بين الشقيقتين، همست هيذر:

«من المؤكد ان المكان يسحرك».

«بكل تأكيد».

عادت غابل الى صمتها ثانية، وغرقت في تفكير حالم بما احاط بها. واستأنفت هيذر كلامها:

«لا بد انّ المشهد يزداد روعة في الشتاء. وآمل ان يسقط الثلج في عيد الميلاد».

«اني واثقة من ذلك».

وابتسمت غابل اذ اخرجها صوت هيذر من عالم احلامها الحلوة:

«هل ترغبين بقيادة السيارة؟».

«اوغلت بعداً في الزمان والمكان. كلا، لا ارغب بقيادة السيارة. انه لشعور لطيف ان تستقل السيارة وتسلمي زمام قيادتها للآخرين».

تطلعت هيذر مشدوهة:

«انكما لا تخرجان انت وأندرو. على ما يبدو».

هزت غابل رأسها مرعمة واكتفت بالقول:

«ليس لديه متسع من الوقت».

الا ان كلمات هيلدر التالية اوضحت افكارها:

«ان رجلاً في مستوى أندرو يستطيع توفير الوقت لو شاء. ويبدو ان لديه موظفين وعمالاً كثيرا في عزبته».

«انه يجب ان يعمل بنفسه».

ثم تحولت بالحديث الى سؤال هيلدر عما اذا ارادت التوجه جنوباً الى بحيرة تاي، او بالانطلاق عبر الوادي.

«لا يهمني. في اي حال سننطلق عبر هذا الوادي لأنه يبدو جذاباً».

ونادت هيلدر الاولاد. فاستقلوا السيارة جميعاً.

«انه طريق بديع. وانني سعيدة بسلوكه».

«بامكاننا ان نتناول غداءنا في اي مكان على شاطىء البحيرة».

وشاركت غابل وهيلدر الاولاد في لعبة «الغميضة» الى ان استقلوا السيارة من جديد وانطلقوا عائدين الى المنزل حيث اخبر روبي اباه:

«قضينا وقتاً رائعاً. ولو انك رافقتنا لزادت المتعة».

التقت عينا آندرو بعيني زوجته، فابتسم لها مكرهاً وذلك تأدباً منه امام هيلدر وروجر وواحد او اثنين من ضيوفهما الموجودين هناك. وفيما اخرج سيمون منديلاً متسخاً من جيبه، قال:

«زرنا الغابة السوداء».

وسقطت منه عقدة خيطان ملونة، ومسماران علاهما الصدأ وبضع قطع صغيرة من الحلوى وعدد من الصور الملفوفة والمتجعدة. فصاحت امه:

«سيمون. . . ما هذا؟ هذا الصبي الوقح يفضحني».

وحركت يديها في ايماءة توحي بعجزها ويأسها:

«تأملوا هذه الاشياء التي يضعها في جيبه، وانظروا لون منديله».

فضحك الجميع على هيلدر وابنها. ثم انحنى آندرو ليلتقط الصور التي استرعت انتباهه فوراً. فسألت هيلدر ابنها بينما وقفت بجانب آندرو تتطلع الى احدى الصور:

«من اين حصلت على هذه الصور؟».



«الا تذكرين انك رتبت صورك، ثم رميت بهذه قائلة انها ليست جيدة؟ وكذلك صورة خالتي غابل واصدقائها الشبان كانت مزعجة وقبيحة».

ثم تمخط بصوت عال قبل ان يلف منديله ويدخله في جيبه ثانية. ثم اضاف وهو يقف على رؤوس اصابعه ليتأمل الصور:

«وقد احتفظت ببعض الصور الاخرى لأنها اجمل من هذه. ولما لم ارغب في رؤية هذه الصور تدخل صندوق القمامة، اخرجتها من سلة المهملات ووضعتها في جيبي».

واعاد آندرو الصور الى هيلدر بعد ان تفحصها بعدم اكتراث ظاهر. ولما التقت نظراته بنظرات زوجته، لاحظ تورد خديها المفاجىء.

ولم يستطع الاختلاء بزوجته الا في صباح اليوم التالي. فوجه اليها الاسئلة التي توقعت ان يطرحها عليها:

«من هو الرجل الذي شاركته الحمام الشمسي»

«انه خطيبي السابق. . .».

لوت غابل يديها فوق بعضهما في حركة لاواعية تدل على عصبيتها. فقطب زوجها جبينه:

«هل كنت مخطوبة؟ انك لم تذكري شيئاً عن هذا الأمر».

افتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة فيما ذكرته بحلو:

«لم يسمح لنا الوقت بان نتصارح بعضنا».

فتطلع اندرو اليها بعينين ضيقتين وهو يسألها:

«هل فسخت خطوبتك؟».

ترددت غابل قبل ان تجيبه. لكن صدقها وصراحتها دفعاها الى القول:

«كلا. فمايكل هو الذي فسخ الخطوبة».

فسألها وهو يرفع حاجبيه بحدة وسرعة:

«هل فعل؟ لماذا؟».

«افضل الاحتفاظ بالسبب لنفسي».

القى عليها نظرة ازدراء. وكان واضحاً انه استنتج من مراوغتها ان اللوم يقع عليها. ولا بد ان سبباً وجيهاً دفع مايكل الى اتخاذ قراره بفسخ الخطوبة.

«هل خطبت لوقت طويل؟».

«لسنة تقريباً».

تردّد قليلاً ثم قال:

«لا بد ان الحادث الذي اشرت اليه وقع بعد اخذ تلك الصورة».

«اجل. بعد بضعة اشهر منها».

بماذا كان يفكر؟ لعلها كانت بصحبة رجل آخر عندما وقع الحادث، فكان ذلك سبباً لفسخ الخطوبة؟ آلمتها الفكرة الى حد انها احست حربة تطعنها في الصميم. فأرادت ان تخبره بكل شيء. لكنها قبل ان تقرر، سألها آندرو ثانية وطغت الادانة على نبرة صوته:

«من هو ذلك الرجل الذي ظهر معك في الصورة الاخرى؟».

تفاقم حنق غابل بحيث قضى على كل رغبة لها في تبرير نفسها. فصاحت في وجه آندرو:

«كل ما فعلته قبل ان التقيك هو من شؤوني الخاصة. ولا يحق لك الاستفسار عن ماضيّ خصوصاً اني لا اسأل عن ماضيك».



# ٩- . . . لم يغب

لم تسهم كلماتها في تحسين موقفها وترطيب الجو. واعتراها الهلع وهي تراقب السيارة تبتعد بشقيقتها واسرتها . . . وتتركها وحيدة مع آندرو. ولم تعرف مثل هذا الخوف والانقباض في المرة الماضية لأن التفاؤل بالمستقبل ملأ عليها حياتها، وتشبثت بأمل عودة آندرو اليها ذات يوم. وهكذا اجبرت غابل نفسها على قبول الحقيقة بأن السعادة التي تستمدها من شنا ودوني هي كل ما يمكنها الحصول عليه. والحقيقة انها كانت مبتغاها. آه، لو لم تحن وتقع في هوى زوجها.

لكن غابل امتنت لاتاحة الفرصة امامها لتحب روني وشنا، ويحبها الصغيران بالمقابل. واكتشفت مع انقضاء الأسابيع ان استسلامها للقدر وقبولها لواقعها اكسبها سلاماً داخلياً واحيا فيها قدرة التمتع بالجمال من حولها.

شهر ايلول احزنها قليلاً لأنه يشهد ذروة المواسم الرياضية، اي صيد الأيائل.

على ان غابل بدأت تتقبل تدريجياً فكرة صيد الغزلان خصوصاً بعد ان حدثها سينكلاير بجدية عن خطر تزايد عدد الغزلان في منطقة الهايلاند. ويصحح الصياد عادة باستعمال العيوات الجديدة المكدسة لصيد الغزلان الهرمة والمريضة لمصلحة القطيع نفسه. لقد ردد سينكلاير معظم ما قاله آندرو بلطف وصبر عظيمين. فاذا تحلى الصياد بالمهارة والاهتمام، فان الحيوان لن يشعر بأنه مطارد، ولن يعاني بالتالي الخوف والخشية من الصيد، واذا تم الصيد بدقة، فان الحيوان لا يتألم.

لكن سينكلاير اعترف بأن الصيد ليس دقيقاً دائماً. وتحدث عن قانون شفوي يقضي بضرورة ملاحقة أي حيوان مصاب ليقضى عليه حتى ولو أدى ذلك الى افساد بقية النهار على الصياد. ثم أضاف:

«ان الحيوان المصاب يسبب قلقاً عظيماً للجميع حتى يقضى عليه. وستجدين ان معظم اللوردات لا يسمحون الا للصيادين المهرة بدخول اراضيهم».

وجدير بالذكر ان آندرو يصطاد الغزلان في عزبة تقع الى شمال عزبته هذه. لكنه لم يذهب اليها السنة لسبب لم تستوضحه غابل لان محادثاتهما لم تتطرق الى امور شخصية. لكن موراغ وفرت لها الجواب:

«لم يذهب أبي للصيد هذه السنة خشية ان اغادر البيت. اني اكرهه . . وقد أخبرته بذلك. . . فهو يذهب عادة الى العزبة في ايلول ولم اتصور انه سيضيع فرصة للصيد على نفسه من أجل البقاء هنا ومراقبتي».

مشت موراغ والشرر يتطاير من عينيها بعد مغادرتها للفراش ببضعة أسابيع حين استعادت عافيتها التامة. وأحست غابل برغبتها في الفرار، فأجبرت نفسها على مراقبتها كلما أمكنها ذلك. الا ان غابل كان لا بد ان تغيب بعض النهار عن البيت وذلك عند نقل روبي وشنا الى المدرسة ومنها. ويبدو ان آندرو ايضا عرف برغبة موراغ بالهرب، فصمم هذه المرة على احتجازها في البيت حتى ولو على حساب استجمامه ومتعته. ومع ان آندرو اوقف مخصص موراغ، فانه ظل يقدم لها مبالغ صغيرة من المال بين حين وآخر. فاستعملت النقود لابتياع السكائر. ودخنت ما اشترته اثناء غياب والدها.

وتوقفت موراغ أمام غابل. وصاحت مهددة:

«سأفر فور توافر المال الكافي لدي، اذ يستحيل على والدي مراقبتي طوال الوقت».

«انك تعرفين ان كل ما يفعله والدك هو لمصلحتك الخاصة. فانت لست معافاة تماماً يا موراغ. ولذلك . . .».

«انني في أتم العافية. وأنا أعرف نفسي، وأعرف ان حالي لم تكن افضل في السابق. لكني سأمرض ان احتجزت مدة اطول. سيختل عقلي، واجن».

اقفلت غابل الحديث لعزمها الا تنغص العيش على نفسها بسبب نوبات



الغضب التي تجتاح موراغ. واستأنفت حياتهم اليومية الرتيبة، إذ انشغلت غابل بالصغيرين، وقضى آندرو معظم وقته في العمل، فيما عاشت موراغ وكأنها غريبة في المنزل. فهي قلما تتحدث الى شقيقيها، ونادراً ما تجلس الى المائدة.

لم تلتق غابل بروبن منذ شجارها الأخير مع آندرو. وأدركت ان زوجها نفذ تهديده وحظر على الشاب ان يصطاد في البحيرة. ولم تر غابل روبن لبضعة اسابيع. الا انها أدركت ان لا مفر من فعل ذلك يوماً ما خصوصاً انه لا يقيم بعيداً عن مكان سكناهم. وخشيت لقاءها به كثيراً. وقد تم ذلك اللقاء بينما خرجت من محل بائع الحلوى في القرية. فحيّاها روبن بينما نظر الى السيارة الواقفة في الشارع، وطلب اليها ان تقله بسيارتها. وحين لم يسعها رفض طلبه بدون سبب، فانها أكرهت على دعوته لركوب السيارة. وما أن فتح فمه ليتكلم، حتى أدركت ان طلبه كان بقصد مفاتحتها في امر المنع.

«غابل. ماذا حدث بعد زيارتي الأخيرة لكم؟ فقد كان زوجك صلباً ومقتضباً في حديثه معي اثناء زيارتي التالية. ومنعني من استعمال البحيرة او زيارة المنزل ثانية. ولست أرى اني ارتكبت أي خطأ. صحيح اني حادثت موراغ قبلاً، الا اني تركتها لمتابعة عملي. كما اني لم استعمل الزورق بدون اذن من وكيل العزبة».

لم تجب غابل على الفور، فاستطرد روبن:

«غابل، اني رجل عادي الذكاء. لكن بوسعي فهم صدور تصرف زوجك عن غضب واستياء شديدين مني. فماذا فعلت؟».

ادارت غابل السيارة، ثم هزت رأسها رافضة سيكارة قدمها اليها. ثم سألته متحاشية اقحام اي امر شخصي في حديثها:

«الم تسأله؟».

رفع حاجبيه هاتفاً:

«أسأله؟ كلا، لم أفعل. فمزاج زوجك لم يسمح لشخص مثلي باستجوابه. لكن، لا شك انك تعرفين كل شيء».

ثم ردد:

«ماذا فعلت؟».

فكرت غايل قليلاً قبل ان تقرر ان الصدق هو الحل الأمثل خصوصاً أنها اعتبرت ان له عليها حق توضيح الأمر، فأخبرته ماذا فعلت موراغ. ولشد ما دهشت اذ لم ينفجر غاضباً. وفطنت الى انها ارتكبت خطأ بمصارحتها له اذ عقب:

«حسناً يا غايل. لم تخطىء موراغ. فأنا قد احببتك مذ رأيتك. . .».

«روبن، أرجوك. . .».

استأنف حديثه متجاهلاً مقاطعتها له:

«سأكون صريحاً معك قدر صراحتك معي. فالقرية كلها تتحدث بأن آندرو مكنيل يفضل ان تقيم في بيته أم الصغيرة على ان توجد فيه مربية وذلك لأنه لم يتمكن من الاحتفاظ بمربية. ولأنه مقتنع بأن شعور ولده سيكون مختلفاً مع وجود أم ترعاهما».

وانقطع عن الكلام قليلاً. لكن غايل لم تجد ما تقوله لما أصابها من ذل نتيجة هذه الاشاعة المشينة بحقها وبحق مركزها في منزل دنلوكري.

«هل هذا صحيح؟ ولكني لست بحاجة للسؤال يا غايل لأن آندرو مكنيل لم يحب. . . وليس من طبيعته ان يحب. فهو قاس جداً، غايل، هذا النمط من الحياة ليس لك».

وكانوا قد بلغوا شارعاً فرعياً منعزلاً دخلته غايل، وأوقفت سيارتها بعد أن أمالتها الى جانب الطريق المعشوشب. ثم قالت وهي تستدير في مقعدها:

«روبن، انك لم تعرفني بشكل يسمح لك ان تحدثني بهذه الطريقة. فنحن لم نقض مع بعضنا أكثر من ساعات قليلة. . .».

«الوقت! ما هو الوقت؟».

وسكتت فيما مد يده ليمسك يدها. الا انها ابعدتها بسرعة عن مقود السيارة.

«لماذا تظنين اني رغبت في زيارة البحيرة؟ بالطبع حتى أراك. لكنك كنت دائماً تتجنبيني».

تطلعت حولها بقلق، وقد خافت ان يراها احد فيشير الى الأمر امام زوجها عرضاً. وتكلمت الى روبن بسرعة آخر الأمر:

«لقد منعني آندرو من التحدث اليك. وقد قررت التزام رغبته بعد ان



نطقت بهذه الكلمات. فالواضح ان الجميع يعرفون ما عاناه. وأنا سأكون آخر من يضيف اذى الى اذاه وهواناً الى هوانه».

حملق فيها بعدم تصديق:

«ألن تتحدثي معي؟ حتى كلمة! لكن، من واجب زوجة اللورد أن تظهر المودة والصداقة للجميع. وهذا ما يفرضه عليها مركزها. واللورد نفسه هو زعيم القرية. ويعرض سكان القرية عليه مشاكلهم. ويعتبر هو وزوجته صديقين للجميع. وقد قضيت هنا مدة طويلة تكفي لمعرفة كل ذلك».

«لقد جعلت من المستحيل عليّ مصادقتك. فأنا يا روبن متزوجة وهانئة وراضية في حياتي الزوجية بعكس كل هذه الشائعات».

«هل أنت. . . هل أنت غاضبة مني؟».

«اني بكل تأكيد لست راضية عن الطريقة التي تحدثت بها الي. فأنا لم ولن أعطيك ما قد يشجعك على ذلك لأني راضية بحياتي كما قلت».

«لا أصدقك».

اكتفت غايل بتسديد نظرة غرور اليه، فيما هز كتفيه مذعناً.

«اذن، فأنت ستتجاوزيني عندما نلتقي، أليس كذلك؟».

اطرقت غايل. فسأل:

«هل تريدينني ان اترجل من سيارتك هنا؟».

«من فضلك يا روبن. فمن الخير ان تفعل ذلك لئلا يرانا أحد».

«لن يهتم احد بالأمر في الاحوال الطبيعية. فليس غريباً ان يتولى اللورد أو زوجته نقل احد القرويين».

«لن يهتم احد بالأمر في الأحوال العادية».

ثم زادت:

«على ان الأحوال ليست عادية».

وأدارت المحرك فيما سحق روبن سيكارة لم يكمل تدخينها في المنفضة. ثم ترجل من السيارة بدون ان يلقي نظرة خلفه.

سارت غايل مسافة قصيرة في الشارع المهجور بأعصاب مشدودة وقلب سريع الخفقان لما ظهر من خسة في محادثتها مع روبن، الذي بدا مستعداً لمغازلتها. فهو لم يظهر الاحترام المتوجب عليه تجاه زوجة اللورد، فيما

قاست هي من الخزي، وكأنها شجعته على تصرفه، الأمر الذي لم ولن تفعله بالطبع كما اكدت له.

واندفعت غايل بسيارتها على الفور بعيداً باعصاب اكثر هدوءاً بعد ان انتعش عقلها وجسمها بفعل الهواء الطلق والسكينة الشاملة التي لفتها.

ومرّ اسبوع قبل ان يقود آندرو السيارة بنفسه. ومعروف انه لا يدخّن، ولذا، فهو يستعمل منفضة السيارة لايداع النفايات والأوراق من بيانات أجرة توقيف السيارة وغيرها. ولدى التفاته احدى هذه الأوراق في المنفضة، استرعت انتباهه السيكارة التي سحلها روبن بدون ان يكمل تدخينها وذلك قبل ان يترجل من السيارة بسرعة غاضباً. ولم تتنبه غايل للأمر الا عندما تطرق آندرو للموضوع باستجواب اولي.

«هل تدخنين؟».

حانت منها التفاتة ارتباك:

«لا. بالطبع أنت تعرف اني لا ادخن».

«هل استعملت موراغ السيارة؟».

هزت رأسها. ماذا يريد ان يعرف؟

«كلا. انها تركب السيارة الأخرى».

ان موراغ تحب قيادة السيارات وهي تقضي الساعات الطوال تجوب طرقات العزبة في سيارة الرنابوت الصغيرة.

«لا يستعمل احد السيارة الصغيرة سواي، وسواك انت احياناً».

تفحصها آندرو بعينين نصف مغمضتين وقد ازدادت القسوة في سمائه وبرز فيها الاتهام. ثم سأل بلطف:

«من اذن أودع المنفضة سيكارة لم يكمل تدخينها؟».

التقطت غايل انفاسها. فهي قد فكرت بالسيكارة وعزمت على اخراجها من المنفضة. الا ان ذاكرتها خانتها. ونتيجة قلقها الآن وسعيها لمنع تدهور آخر في علاقتهما، قالت متلعثمة:

«أنا ادخن احياناً. وربما تركت السيكارة هناك...».

«لا تكذبي. فقد أدخلت هذا الرجل في السيارة... في سيارتي».

امتقع لون غايل، وارتجفت بينما أقرت انها نقلت روبن بالسيارة واجبرتها ملامح زوجها الشرسة الغاضبة على القول انها أبلغت روبن انها



لن تكلمه ثانية. ودهشت اذ لم تر الأثر المرجو على وجه آندرو نتيجة التزامها برغباته.

«الحقيقة انك تحدثت معه عني».

«كلا يا آندرو».

«لا بد انك فعلت. ولا شك ان حديثاً جرى بينكما حتى قلت له انك لن تكلميه ثانية».

ردّت بانقباض:

«كان لزاماً عليّ ان أوضح له سبب عدم تحدثي اليه اذ ليس بوسعي مقاطعته فجأة كما اقترحت. غير اني لم اكثر من الشرح».

تقلصت عضلات فمه. وغرقت غايل في تعاسة مؤلمة نتيجة تعاسة نظرته الحادة.

«انك تتحدثين عني علانية، وتحاولين اذلالي».

اطرقت فيما اغرورقت عيناها بالدموع:

«لم أفعل يا آندرو. ما الذي يجعلك تظن اني اسعى لاذلالك؟».

اقتربت منه خطوة:

«لو اني استطيع اقناعك باني لا ارغب في ايذائك. حينئذ سيزول شكك بي».

ثم تأملت وجهه بعينين مبيضتين غشيهما الدمع فتشوهت رؤيتها:

«لقد طلبت اليّ الا اخاطب روبن، وانا مستعدة لاطاعة رغباتك. ومن المؤكد الآن اننا نستطيع اقفال الموضوع وعدم التعرض له ثانية».

وقفت على مقربة منه. ثم اسدلت يديها على جنبيها بانقباض، تبدد غضبه وغابت الشراسة من عينيه. ووعدها:

«حسناً يا غايل. لن نعود الى هذا الحديث ثانية».

لكنه لم يعتذر عن اتهاماته الجائرة. كما لم يقدم اي دليل بعزمه على التراجع عنها.

ومنذئذ استأنفوا حياتهم المعتادة المليئة ببرودة آندرو وقلة اهتمامه. فلم يبد لطفاً أو تفهماً الا في حضور روبي وفيما وذلك في مواعيد تناول الشاي، ويوم الأحد أثناء زيارتهم الكنيسة صباحاً ونزهة بعد ظهر الأحد التي قاموا بها في كل الظروف الجوية الا في حال هطول المطر الغزير.

ولما كانت عطلة نصف الفصل، شعرت غايل بضرورة التغيير الذي

يريح أعصابها المرهقة. فسألت آندرو الأذن بقضاء اسبوع عند بيث. ثم اعلنت:

«سيسر روبي وشنا بالخبر».

وأبهجتها عقدة حاجبيه أنه استنتج انها ترغب بالذهاب وحيدة. عندئذ فيما افترت شفتاه عن ابتسامة متكلفة وغير منتظرة:

«لقد لمحت الآن الى حاجتك لبعض الراحة. لكنك لن ترتاحي ان اصطحبت الصغيرين معك».

ردّت ببساطة:

«لن اذهب الا برفقتهما».

دقق نظره اليها هنيهة بصمت. وبدا بارداً وخالياً من العاطفة لولا تحرك عضلة في وجهه.

«حسناً. هل ترغبين بقيادة السيارة؟»

«اذا كان الأمر لا يزعجك. والا، فبمكاننا ركوب القطار الى المحطة حيث يكون هارفي أو بيث في لقائنا».

«اركبوا القطار اذن. فالطريق طويلة. ومن المؤكد ان الصغيرين سيرافقانك».

ابتسمت له وهي لا تدري اذا كان اقتراحه بركوب القطار مستنداً الى اهتمامه الصادق بها او الى تصرفه العملي في حياته.

اوصل آندرو غايل والصغيرين الى المحطة. ثم شيعهما الى باب القطار بعد ان اشترى لهم جميعاً الكتب والحلوى. ولما تحرك القطار، لوح لهم بيديه. فتطلع الصغيران من النافذة وهما يلوحان بأيديهما الى ان غاب والدهما عن مجال رؤيتهما. عندئذ جلسا وفتحا كتابيهما. لكن غايل ظلت واقفة قرب النافذة الى ان تجاوز القطار المبنى المنحنى الأخير حيث كان اندرو متجهاً الى سيارته. وفجأة أحس ان احداً يراقبه، فتطلع الى أعلى. فلوحت له غايل مودعة. وردّ على تحيتها بمثلها. ونظراً الى بعد المسافة بينهما، لم تتأكد غايل انه ابتسم لها.

استقبلت بيث ضيوفها الثلاثة في المحطة. وفي اقل من نصف ساعة عادت غايل الى البيت الذي آواها على حياة امها. وعلى الفور اصطحب طوماس وماريلين، اللذين امضيا اجازة مدرسية ايضاً، روبي وشنا الى



الحديقة حيث لعبوا بناء على اقتراح طوماس الذي خاطب امه وخالته «سنخرج حتى تتناولا الشاي بسلام».

فسألتهم بيث:

«ادخلوا فور هطول المطر الذي يبدو انه سيتنزل في اية لحظة».

«كم يشبه اليوم الأمس».

«الست سعيدة؟»

«سعيدة؟ بالطبع انا سعيدة. لماذا توجهين الي مثل هذا السؤال؟».

صبت بيث فنجاني شاي لغايل:

«لا داعي للانكار. فهيلدر غير مقتنعة بأن الأمور تجري على ما يرام بينك وبين آندرو».

«هل افترض انها اخبرتك بكل شيء؟».

«لقد فعلت. ويبدو لي ان احداً يجب ان يتخذ اجراء بحق موراغ. الا يمكن ارسالها الى المدرسة او الى...؟»

طرفت عينا غايل:

«لماذا؟».

«لابعادها عن المشاكل ومنعها من افتعالها. فلماذا تسعى الى فسخ زواجكما؟»

«انها لا تسعى الى فسخ زواجنا بالضبط. لكنها برعت بمحاولتها على ما اظن. وهي تفعل أي شيء يخفف رتابة حياتها ويسليها».

«لن يصيبها الملل ان هي التحقت بمدرسة. ألم تقولي ان آندرو كان سيرسلها الى المدرسة في شهر ايلول؟».

«أجل. فقد وضع ترتيبات ارسالها الى مدرسة داخلية. لكنها مرضت بعد ذلك. والطبيب لا ينصح بادخالها الى المدرسة. وهو يصر على ابقائها في البيت».

«لا أتصور وفاقاً بينك وبين آندرو ما دامت بقيت في المنزل. فهي ستتدخل بينكما بكذبها وخداعها وافتعالها للمشاكل».

«يئست من فكرة قيام وفاق بيني وبين آندرو. فهو لا يريد لعلاقتنا ان تبنى الا على تنظيم اداري».

وارسلت نظرها عبر الطاولة الى شقيقتها

«انه لن يحبني ابداً يا بيث. وقد كنت مجنونة حين فكرت بهذا الأمر».

«لم تكوني متشائمة حين التقيتك آخر مرة. فقد كنت تحلّقين على جناحي الأمل، وبدوت واثقة تمام الثقة من انه سيحبك مع مرور الزمن».

بدأت حبات المطر المنهمر تطرق الواح النافذة. وأسرع الأولاد الى الداخل. فصاحت بيث بهم:

«ادخلوا غرفة الألعاب من فضلكم. فنحن لم ننته من تناول الشاي بعد».

وردّدت غايل بعد ابتعاد الأولاد:

«لقد قلت اني كنت مجنونة. فهو لم يشجعني او يعزز آمالي ولو للحظة».

أشرق وجه غايل بابتسامة حزينة، فيما وجهت اليها شقيقتها نظرة استفهام. فقصلت الأحداث التي اعقبت اكتشاف جرحها. ولما صمتت، همست بيث بلهجة معبرة رقيقة:

«لماذا يكلف نفسه عناء تعزيتك؟ ألم يخطر لك هذا السؤال على بال؟».

هزت غايل رأسها، وتطلعت بارتباك. فاستطردت بيث:

«لقد نشب شجار عنيف بينكما. وفجأة هدأ واصبح لطيفاً. فهل كل ذلك جزء من الترتيب الاداري الذي اتفقتما عليه؟».

«لست ادري ماذا تقصدين يا بيث».

اعلنت بيث باصرار وقد ضاقت عيناها وزادت القسوة فيهما:

«لو لم تسمّم هذه الفتاة الشقية الحقودة أفكاره وتذكّره بكل ما قاساه من زوجته الأولى، لجرت أمورك مع آندرو على خير ما يرام. لكنك لن تحرزي اي تقدم من وجود هذه الفتاة كما قلت سابقاً. فهلا أمكنك اقناع آندرو بارسالها الى المدرسة؟».

«لن يسمح الطبيب بذلك يا بيث. وهكذا ستبقى موراغ في المنزل».

«انها ليست حاجزاً بينك وبين آندرو فقط. انما عقبة في طريق آندرو الى الاستقرار».

لم تعلّق غايل بشيء، بل تذكرت ان ما قالته بيث خطر لها من قبل. فموراغ عقبة في طريق آندرو للاستقرار. وان لم يتحقق الاستقرار لآندرو، فهو لن يسعى في اثر السعادة... حتى ولو تمنى ذلك. ثم تنهدت وصرّحت بشيء من الفتور:



«ربما تزوجت في غضون سنوات قليلة».

«لو لم يكن فرحي بزواجها من أجلك فقط، لما تمنيت ان يتزوجها الذ غداني».

وقبل أن تعود غايل الى ردها، وقف الأولاد في الباب لخوفهم من دخول الغرفة. وتذمّر طوماس الذي ركّز نظره على قطع البسكوت الموضوعة على الصينية:

«اننا جائعون. ولم يتناول أي من روبن وشينا شيئاً منذ ساعات طوال».

فأعلنت غايل ابن شقيقتها بجذل.

«سنحضر انا وأمك شيئاً لذيذاً لكم. فاذهبوا واغسلوا وجوهكم وأيديكم. وعندما تنتهون سيكون الشاي جاهزاً».

وقالت بيث بينما قطعت الشقيقتان شطائر الأولاد:

«لقد رتبت موعداً مع مزين الشعر غداً الثلاثاء، ويحتاج طوماس وماريلين الى قص شعرهما. فهلا رغبت بجولة حول المدينة حتى نلتقي ونتناول الغداء في الخارج؟ ويمكنني الغاء موعد مزين الشعر».

استوقفتها غايل:

«لا تفعلي ذلك لأن بامكاني القيام بجولة حول المتاجر. فأنا قد اشتقت اليها. وسيكون ذلك تغييراً لطيفاً. وربما تمكنت من شراء ثوب من محل انيقا حيث أجد دائماً ما يناسبني بالضبط. والحقيقة اني لم اشتر قط شيئاً بجمال الأثواب التي اشتريها منها».

أيّدت بيث رأيها:

«صحيح ان معروضاتها نفيسة، لكنك تحصلين على افضل الأنواع».

انزلت بيث غايل والصغيرين في الشارع العام. ثم ذهبت لتوقف سيارتها. واتفقوا على اللقاء قرب فندق غراند هوتيل حيث سيتناولون الغداء. وبينما أمسكت شينا يد غايل وسارت بجانبها سألت:

«أتسمحين بأن اشتري لك هدية يا ماما؟».

وأضاف روبن، الذي أمسك بيد شقيقته الأخرى

«وأنا كذلك أتمنى ان اشتري لك هدية. كما اني أرغب بشراء شيء لبابا وموراغ».

«نويت أن اقترح عليكما أن تشتريا لهما شيئاً. افعلا ذلك اولاً. واذا بقي لديكما اي نقود، تبتاعان لي شيئاً».

«أريد ابتياع هديتك أولاً. ثم هدية والدي. واخيراً هدية موراغ. آه،

انظري يا ماما».

وجذبت شنا امها وشقيقها الى واجهة أحد المتاجر:

«حقائب يد؟ هل تريدين حقيبة يد جديدة؟».

هزأ روبي منها:

«ليس لديك مال كاف لذلك».

«بلى لدي، أليس كذلك يا ماما؟».

«لا احتاج حقيبة يد يا حبيبتي. لماذا لا ندخل المخزن الكبير ونتفرج. فهناك تتوافر لنا الخيارات الكثيرة».

اشترى الصغيران لأندرو حيوانين صغيرين مصنوعين من الزجاج المنفوخ ليتأملهما أثناء العمل، على حد قول روبي للبائعة اللطيفة. ثم تشاركا في دفع ثمن زجاجة عطر لوراغ، في حين تولت غابل تغطية باقي ثمنها بدون أن يعرفا. وفي حين اشترت شنا لغابل دمية تضعها على منضدة الزينة، ابتاع روبي لها صورة كوخ صغير أنيق مُسقف بالقش وزينت جدرانه بورود حمراء قانية.

وبعد ان ابتاعت غابل هدايا للأولاد الأربعة، اقترحت على الصغيرين شراء هدية لخالتهما بيث.

واخيراً تمكنت غابل من زيارة متجر الألبسة المفضل عندها. واسعدها الحظ بان مكنها من ابتياع ثوب نهاري جميل صنع من صوف غنم ناعم، وثوب لحضور الحفلات الراقصة له أكمام طويلة الى حد يغطي جرحها ليس الا. فهتف روبي متحمساً:

«انك تبدين جميلة في هذا الثوب. فهل سترتدينه الليلة؟».

«ليس الليلة يا روبي. وربما ارتديته عندما اذهب الى حفلة».

ولما خرجوا من المتجر، سألتها شنا:

«هل تسمحين لي بأن احمل ثوبك يا ماما؟».

«شكراً يا شنا. فان علبته كبيرة. وافضل ان احملها بنفسي. الى ذلك، انت تحملين حزماً كثيرة».

فصلتهم عشر دقائق عن موعدهم مع بيث. وفيما اخذوا يتسكعون في الشارع ويتفرجون على واجهات المتاجر، استدارت غابل فجأة اذ سمعت



صوتاً يناديها:

«مايكل... كيف حالك؟».

لاحظت اهتمامه بروبي وشنا.

«اني بخير يا غابل».

توقف قليلاً، ثم قال:

«هل صحيح انك تزوجت؟».

طرقت. وازدادت ابتسامتها اتساعاً. ولم تحس بأي ضغينة تجاهه صديقه قد ساعدها على تنظيم حياتها. وهي سعيدة لأنها لم تتزوج منه. وعرفته بالصغيرين فيما تابعت تحديقها اليهما:

«هذا روبي. وهذه شنا».

«هل تزوجت رجلاً مطلقاً؟».

«توفيت زوجة آندرو الاولى منذ سنوات عدة».

«آه. اني آسف. فالولدان صغيران. وكان طبيعياً ان استنتج ان امهما ما زالت على قيد الحياة».

كرر أسفه وهو يضيف:

«آسف. لقد سمعت عن قصة زواجك عرضاً. ولم يعرف أحد شيئاً محدداً عن زوجك سوى أن له اولاداً، ثلاثة أولاد على ما أظن».

«ان له ابنة أخرى أكبر سناً».

لم تتوسع غابل في الشرح. ومضى مايكل ليقول انهم مقيمون عند بيث على الأرجح.

«أجل. فقد واتتنا الفرصة لزيارتها لأن الصغيرين في اجازة مدرسية».

«هل صحيح ان زوجك اسكوتلندي؟».

«انه لورد دنلوكري».

«يا الهي. ان هذا لفخر عظيم. هل تقيمين في منزل كبير؟».

ابتسم روبي فجأة لمايكل واجابه:

«هو كذلك. لأن اناساً كثيرين يقيمون فيه، ولأن والدي يستقبل زواراً عديدين، احياناً. أليس كذلك يا ماما؟».

سأل مايكل بدون ان يعطي غابل فرصة للرد على سؤال روبي:

«هل يقيم كثير من الناس معكم؟».

«اجل. . . فالبيت يضم بابا وماما وأنا وشنا ومورانغ اضافة الى ثلاث خادمات والسيدة بيرشن. . .».
ضحكت غابل:
«روبي. السيد باتكفوت لا يريد معرفة كل ذلك».
«لكنه سأل اذا كان عدد كبير من الأشخاص يقيم معنا. فهل أخبره عن كل الرجال؟».
«لا يا حبيبي».
ثم التفتت غابل الى ساعتها. وخاطبت مايكل:
«علينا أن نذهب. فسنلتقي ببيث بعد بضع دقائق».
«كنت انوي دعوتك لمشاركتي الغداء. فأنا أرتاد المقهى الواقع على الطرف الآخر من الشارع».
اعتذرت مبتسمة:
«اشكرك يا مايكل. لكننا لا نستطيع. وبالمناسبة، كيف حال صغارك؟ لم استطع حتى الآن ان اسأل سؤالا واحداً».
«بخير»
«حسناً. بلغ تحياتي لجون».
«سأفعل».
«الوداع. علينا ان نسرع. روبي وشنا ودّعا العم مايكل».
«الوداع».
ولوح الصغيران بأيديهما لمايكل. ثم سألت شنا:
«من هو هذا الرجل يا ماما؟».
«صديق قديم. . .».
اختفى صوت غابل وتجهّم وجهها بسبب ذعرها واضطرابها في هذه الأيام من شكوك زوجها الدائمة. فهل سيشير روبي أو شنا الى هذه المقابلة؟ اعترى القلق غابل علماً بانها تخطئ، ان هي قلقت. ولما لم يكن بوسعها فعل شيء، هزّت كتفيها وهي تقرر ان أسوأ ما قد يحدث هو أن يحدّث روبي او شنا آندرو بالأمر. وعزمت ان تطلع آندرو على الحقيقة كما فعلت دائماً، وتقول ان لقاءهما حدث مصادفة، وقد دام قرابة خمس دقائق. واذا رغب في اصطناع شجار، فما عليها الا ان تتحمله كما تحملته في السابق.



# ١٠ - الحب يشفي الجراح

رجعت غابل والصغيرين يوم السبت، لرغبة غابل بقضاء يوم الأحد في المنزل حيث تجتمع الاسرة ويستمتع افرادها بنهارهم. فاستقبلهم آندرو في المحطة. ولم ينقطع روبي وشنا عن الحديث مدة نصف ساعة، وهي المدة التي تستغرقها الرحلة من المحطة الى المنزل. ذكرا كل ما اعتراه معهما. ولشد ما ارتاحت غابل لانهما لم يذكرا شيئاً عن مقابلتهم لخطيب غابل السابق. وفجأة، سأل روبي اباه:
«هل اشتقت لنا؟».
«كثيراً يا روبي».
نطق آندرو كلماته بحنو غير معتاد وبصوت مرتعش اجفل غابل اذ لم تلحظ رقة في مشاعر زوجها منذ امد بعيد. فقد عكس، وهو ابن الهايلاند، قوة الطبيعة وصرامة البيئة حيث ولد ونشأ. وامسكت شنا يد غابل، فيما انحنت الى الامام لتطبع قبلة على خد والدها.
«ونحن اشتقنا لك، اليس كذلك يا ماما؟ لماذا لم ترافقنا؟».
«كان علي ان اعمل يا شنا».
فحثه روبي:
«الن تحضر معنا في المرة القادمة؟ من المستحب ان نجتمع كلنا، كما نحن الآن».
وهنا استدارت غابل في مقعدها نصف استدارة لتتأمل آندرو بفضول. وتذكرت لسبب غامض وقفتها عند النافذة في عربة القطار، وتلويحها لآندرو وهو يقصد سيارته. لقد لوح لها. . . وتصورت انه ابتسم لها

آنذاك. اما الآن، فلم يتبسم، وانما كان جامداً ورابط الجأش كعادته لكنه عاش في جو حالم بشفتين مفتوحتين قليلاً فيما وكز بصره على الطريق الممتد امامه.

وتنبه آندرو الى ان غابل تركز نظرها عليه. فاستدار نحوها. وفجأة احست ان قلبها قد انعصر. وذهلت اذ رأته كئيباً، الأمر الذي اثارها من الأعماق، فيما بدا ذلك فرصة مؤاتية لتحسين علاقتهما.

واخبرت شنا والدها:

«اشترينا انا وروبي هدايا لك. وهدية روبي...»

فقاطعها روبي:

«انها مفاجأة».

«لماذا؟ انا اريد ان اخبر ابي عن هدايانا».

«عليك بالانتظار حتى نصل الى البيت فيفتح الهدايا ويفرح بالمفاجأة».

«ولكن...!».

فاعترضت عليها غابل:

«اذا كان روبي يريد ان يبقي هديته مفاجأة، فما عليك الا ان تخبري والدك بما اشتريته انت له».

«لكننا اشترينا الشيء نفسه».

فصاح روبي وهو يطبق بأسنانه بعصبية:

«هل كان يجب ان تخبريه؟ الآن، لا يمكنك ان تقولي ماذا اشتريت».

ربتت شنا على كتف آندرو ثانية:

«انهما ليسا الشيء نفسه بالضبط. فهديتي زرقاء، وهدية روبي خضراء. أياً من اللونين تحب اكثر؟».

اجاب آندرو برصانة فيما تحول عن الطريق العام الى الممر الضيق الموصل الى القرية:

«احبهما بالدرجة نفسها».

«ارجوك يا ماما. امنعيها من ان تخبر بابا. فأنا اريد ان تكون هديتي مفاجأة... وهي ستخبره. انا اعرف انها ستفعل».

فدفعتها غابل الى الوراء، واجبرتها على الجلوس:

«يجب الا تخبريه يا شنا. فنحن سنبلغ البيت بعد دقائق. ومن المؤكد ان



بامكانك الانتظار».

«حسناً. سأنتظر».

وعقب روبي بحدة:

«انها لا تستطيع الانتظار لانها صغيرة».

فضحك كل من آندرو وغابل. واستفسر آندرو عن بث:

«كيف حال بث؟ انك لم تستطيعي ان تتفوهي بكلمة حتى الآن».

فحدثت عن عطلتهم عرضاً، فيما حانت منها التفاتة نحوه بين حينة واخرى، وقد تساءلت اذا كان اهتمامه عفوياً او متكلفاً لمجرد اظهار لطفه.

ودخلوا البهو الخلفي الصغير بعد قليل. فسألته شنا:

«هل اعجبتك الهدايا؟».

«هذه هي المرة الثالثة التي تسألين فيها بابا اذا كان يحب الهدايا. بالطبع انه يحبها».

هكذا تكلم روبي بكل جدية. فاقلقت من غابل تنهيدة خفيفة. وتصورت انه غدا شديد التضج بالنسبة الى عمره. وتمنت لو انه لا يكبر بسرعة.

لكنه تحول بعد لحظة صبياً صغيراً من جديد. فدعا شقيقته بلذة لمشاركته في ترتيب لعبة. واخبر والده:

«لم نتعرف على اللعبة بعد. فقد اشترتها ماما لنا. لكن، لم يكن لدينا وقت للعب بها في منزل الخالة بث لاننا كنا نخرج يومياً».

فهتف آندرو:

«يخيل لي انكم قضيتم وقتاً طويلاً في شراء الهدايا للجميع».

«لقد زارت الخالة بث مزين الشعر مرة ذات صباح، وذهبنا نحن الى السوق...».

واضافت شنا بمرح:

«وهناك التقينا رجلاً لطيفاً اراد دعوتنا الى الغداء. انه صديق لماما».

رفع كل من غابل وآندرو عينيهما. والتقت نظراتهما. وامتعضت غابل، وتحرقت لهفة لو ينتهي الأمر عند هذا الحد. ثم اخبرته بهدوء:

«انه مايكل».

تجهم وجهه:

«ومايكل؟».

«لقد رأيت صورته. . .».

«اذكره، واذكر انك خطبت له».

فاعلمته بصوت منخفض:

«انه متزوج الآن. وله ثلاثة اولاد».

«من الواضح انكم لم تتغدوا معه».

«كلا. فلم يكن لدينا متسع من الوقت لأننا كنا سنلتقي بيث قرب الغرائد هوتيل».

«واذا لم تكونوا ستلتقون بيث؟».

«لم اكن لأقبل الدعوة».

وخطر لها فجأة انها احتدت غضباً عند ذكر اسم مايكل في المرة الأخيرة. واعلمت اندرو ان لا حق له في السؤال عن ماضيها. فازداد الشرخ بينهما. الأمر الذي لم تتمن ان يحدث ثانية.

«ليس هناك شيء يجمعني بمايكل».

«لكنكما لا زلتما صديقين؟».

ابتسمت فيما غرقت في تفكيرها:

«من الأفضل ان تقول إننا لسنا اعداء».

لم ينقطع عن التحديق اليها. الا انه تحول عنها بعد برهة ليلتقط احد الحيوانين الزجاجيين الصغيرين. واخذ يحركه في يده. فانعكس وهج النار عليه، مما غير لونه. وتراجعت غابل في مقعدها لتراقبه بقلب خافق بالفرح. فقد اظهر باعراضه عن الحديث ثقته بها.

وقد اشترت هي بدورها هدية لأندرو لم يعرف بها الصغيران. وقد أجلت تقديمها له الى حين دخول روبي وشانا السرير. وظلت على ترددها وخجلها في ذلك الوقت بسبب الفتور الذي ساد علاقتهما حتى لحظة انطلاقهما لزيارة بيث.

ولم تنس الكآبة التي لمحتها في آندرو قبل قليل حتى اثناء جلوسه قبالتها عند طرف الموقد الآخر حين بدا اللين في قسماته في وهج النار المشتعلة في خشب الصنوبر. وهمست متلعثمة:

«اشتريت لك هدية».



ثم مالت جانباً لترفع عن الطاولة الصغيرة رزمة قدمتها اليه:

«سمعتك تخبر السيدة بيرش انك كسرت محبرتك. . .».

«شكراً يا غابل».

وتناول الرزمة من يدها الممدودة. ثم فتحها ببطء. لقد سعدت غابل كثيراً بالعثور على المحبرة القديمة المصنوعة من الفضة والكريستال المقطوع. ولا شك ان مقداراً من السعادة نفسها غمر أندرو نتيجة الحصول عليها.

«انها ثمينة ونفيسة».

امسكها طويلاً وهو يبلع ريقه بين حين وآخر. وحيرتها نظراته.

«اشكرك كثيراً يا عزيزتي. لا شك اني سأحسن استعمال هذه الهدية الصغيرة الرائعة».

«كم يسرني ان تفوز برضاك».

ودفعت رأسها جانباً بقصد اخفاء السعادة التي خيمت عليها بسبب كلماته. ولا ريب ان السماح له بمشاهدة انفعالاتها سيشوه سعادتها.

ولما نهضا ليأويا الى فراشيهما، تعمد ان يقطع الطريق عليها لا بحركة واضحة لكنه حال بطريقة او باخرى بينها وبين الباب بعد ان تمنت له ليلة سعيدة، وصممت على مغادرة الغرفة.

«غابل. . .».

وسكت. فلف الصمت الغرفة لحظة قبل ان يزيد.

«اشكرك مرة اخرى على هديتك يا غابل. ما اجمل والطف ان تفكري بي».

«اشكرك مرة اخرى على هديتك. . .» رددت غابل هذه الكلمات وهي تصعد السلم. لقد اقتنعت بما يشبه اليقين ان كلمات اخرى تجمدت على لسانه. . . كلمات وجد من الصعوبة بمكان ان يتلفظ بها.

وزاروا الكنيسة في اليوم التالي. ولا ريب انهم شكلوا اسرة متناسقة شديدة الاناقة حتى ولو لم يكن آندرو هو اللورد الغني والمحترم، وهؤلاء زوجته وصغيريه. وخفض الناس رؤوسهم مبتسمين عند دخولهم وخروجهم. ووقفت الأسرة برهة فيما استمع آندرو لعرض مشكلة او مشكلتين وعد بحلها. ثم استقلوا السيارة منطلقين الى البيت في جو صاف شديد البرودة وتحت اشعة الشمس المشرقة في سماء خلت من الغيوم.

وشرعوا بعد الغداء بنزهتهم المعتادة. وغمر قلب غابل السعادة والسلام، بينما سارت بجانب زوجها فيما عدا روبي وشنا امامهما ثم عادا نحوهما قاطعين المسافة بذلك مرتين او اكثر.

رمقها زوجها بنظرة قصد اطلاق ملاحظة عابرة. لكن عوض التفوه بتلك الملاحظة، سأل غابل عما دهاها. فرددت بارتباك:

«ماذا دهاني؟».

«انك لست سعيدة».

فجفلت:

«وما الذي يدفعك لقول ذلك؟».

«ان التعاسة مرتسمة على عينيك...».

«لست تعيسة».

واجبرت غابل نفسها على اطلاق ضحكة قبل ان تضيف:

«ليس هناك شيء يمكنني ان احزن عليه».

«ربما كان قولك قاسياً بعض الشيء».

واعقب قوله صمت طويل مفعم بالتأمل:

«هل انت حزينة يا غابل؟».

«هل يمكن لأحد ان يشعر بالسعادة التامة في هذه الحياة؟».

«لم اذكر الكمال من قريب او بعيد لأنه يصبح تصوراً مبهماً عندما يتعلق الامر بالعواطف الانسانية، التي تنطوي على مقدار كبير من النسبية، وعلى وافر من التشبيهات والمقارنات عند تقويم قوتها وشدتها. اما الكمال، فلا يعرف شيئاً من ذلك».

لم ترغب بالخوض عميقاً. فحافظت على صمتها. اما آندرو، فأضاف باقتضاب اخجلها:

«هل تشعرين بالندم يا غابل؟».

«على زواجنا؟».

ورفعت عينيها لتراه وجلة بقامته المديدة وجسمه القوي ووسامته ورجولته الطاغيتين. ولم تفطن الى ان دفء الشمس المنحدرة بدأ يضعف، وان قطيعاً من الغزلان وقف يرعى فوق تلة عالية، وبدا غاية في الروعة تحت قبة السماء. كما انها لم تنتبه الى توقف الصغيرين عن العدو والضجيج



وقد جلسا فوق كومة من الصخور بانتظار ان يلحق بهما والداهما. واخيراً همست:

«كلا. لا اشعر بالندم».

«هل كان هناك اي شيء ترغبين في تغييره؟».

«اي شيء؟».

وفكرت كم بدا غريباً خصوصاً بعد ان ابطأ خطوته حتى كادا يتوقفان عن السير. ماذا ارادها ان تقول؟ لقد بدا متوتراً ومشدود الأعصاب وكأن مصيره كله يتوقف على جوابها. واحست فجأة انها فهمت الأمر. لقد خشي ان تكون غير راضية عن حياتها هنا. ولعله خاف الا تكون آمالها قد تحققت. اجل، لقد ازعجه ذلك الأمر. ولكن يجب الا يضطرب. فهناك امور كثيرة تشغله. فرفعت نظرها اليه مبتسمة:

«كلا يا آندرو... لم يكن هناك شيء ارغب في تغييره».

غير ان قلبها هتف:

«آه، لكني ارغب. ارغب بتغيير علاقتنا... ارغب ان تحبني».

ووقف فيما بدا لغابل انه اطلق تنهيدة عظيمة عميقة.

«ولن تتركيني، اليس كذلك؟».

«لن اتركك. كلا، لن اتركك يا آندرو. فلماذا افعل؟».

وتجاهل سؤالها فيما قال وهو يقف بقربها متفحصاً وجهها بدقة:

«حتى ولو كبر الصغيران وتزوجا وتركانا؟».

اطبقت جفونها باحكام. عندما يتزوج الصغيران ويتركانها... ماذا يبقى لها عندئذ؟ وجود آلي. منتصب وهي غير مخلد. فهي لن تكون زوجة ولا خادمة، بل مجرد شخص يعيش في مسكن دملوتري. شخص يؤنس اللورد عندما يشتاق الى نديم. سيدة تقوم بدور المضيفة، فتبتسم لضيوفه كما يقتضيها واجبها. هل يمكنها ان تحيا مثل هذه الحياة وهي مقيمة على حب آندرو؟

«من المستحيل ان يدرك الانسان مشاعره بعد سنوات عديدة من الآن».

فضغط شفتيه على بعضهما:

«لقد اخبرتك ان رابطة الزواج ملزمة».

وظهرت الحدة في صوته والقسوة في عينيه الزرقاوين ثانية. قالمها مزاجه المتغير. لكنها لم تجد وسيلة لرده الى لطفه وهدوئه السابقين. فحافظت على صمتها. وتكلم آندرو مجدداً... فبدا وكأنه ينطق بهذه الكلمات مجبراً وبنبرة اختلفت تمام الاختلاف عن نبرته عندما قال ان رابطة الزواج ملزمة. وعادت لهجته تعكس الشك والقلق الذي لاحظته غايل قبل دقائق.

«بناء على شعورك الحالي، هل تتصورين انك ستتركيني؟».

«بناء على شعوري الحالي، لا اتصور اني سأتركك».

تنفس الصعداء. وعاد يسير برشاقة وسرعة جعلت غايل تعدو للحاق به. فخفف سرعته ومد اليها نظرة:

«هل تعجزين عن مجاراتي في السير؟».

توجب على آندرو يوم الخميس ان يذهب الى احد المصانع التي يمولها. ويقوم المصنع في منطقة الميدلاند حيث سيقضي بضعة ايام. فنبه غايل:

«راقبي موراغ. وانا اعلم انك تخرجين بمهماتك اليومية. لكن السيدة بيرشن ستراقبها ساعتئذ. كما اني تدبرت امر حضور الممرضة بضع ساعات في النهار...».

وتوقف ليهز كتفيه:

«وليس بوسعي فعل اي شيء آخر سوى حبسها في حجرة موصدة إذ ينهكها الانفعال الذي تسعى الى تجنيبها اياه».

وكشفت رنة الشك في صوته عن خوفه العميق من احتمال نجاح موراغ في الهرب من المنزل اثناء غيابه، الأمر الذي جعل غايل تتوسل اليه بالحاح الا يلومها ان افلحت الفتاة في الفرار. فابتسم لها:

«كلا يا غايل. لن الومك».

«اني خائفة يا آندرو. فهل يمكننا مراقبتها طوال الوقت؟».

هز رأسه:

«يجب علي ان اخوض هذه المغامرة يا غايل. لقد حرمت على نفسي السلوى والمتعة. لكني لن اهمل اعمالي. وماذا يفعل المرء بمثل هذه الفتاة الجموحة؟ هل يراهن على تعقلها؟».

لم يسبق ان حدثها بهذه الطريقة، الأمر الذي اسعد غايل وشجعها على القول:



«لقد فعلت كل ما في وسعك يا آندرو. ولا يمكنك لوم نفسك في اي حال».

تأملها باستغراب لحظة وكأنه يبحث عن دليل على افكارها. واخيراً وافق على رأيها، وقد ظهرت في صوته مرارة تزعج سامعيه:

«كلا يا غايل. لا يمكنني ان الوم نفسي ابداً».

لكن المرارة اختفت من صوت آندرو عندما هم بقيادة سيارته. فخفض زجاج النافذة وودع غايل الواقفة في ساحة البيت الأمامية:

«الوداع يا حبيبتي. ارجو ان تأخذي حذرك».

ثم لوح بيده قليلاً مبتسماً لها. لكن هذه الأمور كادت تفوت غايل لانشغالها بما قاله. وتساءلت عما اذا كان تشديده على كلمة «حذرك» مقصوداً ام عفوياً

ازدادت استفزازات موراغ وسخريتها بروزاً اليوم. لكنها امتزجت بتهديدات خفية:

«ساهرب بطريقة او بأخرى. وسيحملك والدي المسؤولية».

«تحدثنا في الأمر وأكد والدك اني لا ولن الام».

«اذن، فقد تحدثت عني في غيابي، أليس كذلك؟».

«هذا ليس من عادتي. الا اني رغبت التأكد من اني لن احمل مسؤولية رعاية سلوكك اثناء غياب والدك».

ضحكت موراغ ضحكة عالية:

«اتحاولين تخليص نفسك؟ استمري في سعيك للتملص منه».

تحولت غايل عنها لفرط استفزازها. وكان موعد رجوع الممرضة من عداتها قد اقترب. فلم تضيع غايل لحظة بعد رجوعها. ولما اغلقت غايل الباب وراءها، سمعت موراغ تصيح:

«مرحباً ايتها السجانة رقم اثنين. الا تفارقيني لحظة؟ لكني اراهن على ابتعادكم جميعاً عني... فقط، اصبروا لترواء.

اندفعت غايل نحو المطبخ وحدثت السيدة بيرشن بما جرى فأكدت لها الأخيرة:

«لا يمكنها الهروب. فالسيد مكنيل طلب من مستأجر الاحتفاظ بالسيارة في منزله حالياً لأن الآنسة موراغ تعرف كيف تديرها بدون مفتاح.

وبما ان السيارة الاخرى الباقية هي سيارتك، لا يمكنها الهرب ما دمت ابقيت المفتاح معك».

ردت غايل بعبوس:

«لن القيه جانباً. لكنها ذهبت من دون ان تملك سيارة في السابق».

«كانت تملك المال الكافي لدفع اجرة التاكسي او القطار. وقد تأكد والدها انها لا تملك مالاً. لقد احرجته كثيراً هذا الصباح عندما خرجت بالصغيرين الى المدرسة. لكنه اكد انه لن يعطيها درهماً واحداً».

تنهدت غايل:

«يا لها من فتاة سخيفة. الن تتعلم ابداً؟».

«كلا يا سيدة مكنيل. انها لن تتعلم لان لا عقل لها يساعدها على الفهم والادراك».

وضربت السيدة بيرشن جبهتها بيدها:

«كم كان مشؤوماً اليوم الذي ولدت فيه موراغ السوداء... لا تجفلي يا سيدة مكنيل. فهذا هو الاسم الذي يطلقه عليها اهل القرية».

وقذفت بالمنشفة فوق الطاولة:

«لقد كان يوماً مشؤوماً على السيد الذي افتخر كثيراً بالطفلة. ايه! لقد كان شاباً لا يحسن الادراك. واني اذكر التماع الفرح والذهول في عينيه. ارجو ان تفهمي قصدي. لقد بدا كمن شهد معجزة في حين كان شاباً لين العريكة ذا قلب كبير. كبير...».

وسكتت لتسترجع بعض الذكريات. فساد الصمت دقيقة او دقيقتين:

«والآن اتساءل احياناً اذا كان لا يزال عنده قلب بعد كل ما جرى له على يدي موراغ السوداء وامها لا يجب الا انفوه بهذه الاقوال امامك. الا ان الحماسة اخذت مني كل مأخذ. فقد قلت سابقاً اني لن امنعها من الخروج. ولو كان الخيار خياري، واذا حدث ان آذت احداً، فان الخطأ سيكون خطأها وحدها وستتحمل نتائجه».

«لا يمكن ان تذهب يا سيدة بيرشن، بل يجب مراقبتها بحرص شديد من اجلها فقط. واني قلقة من تلك الاحتياطات المسكنة التي اتخذها زوجي».

«اليست الممرضة معها؟».



اطرقت غايل:

«انها معها الآن. لكن عملها ينتهي عند الساعة السادسة».

«سيكون كل شيء على ما يرام. فنحن نكون هنا جميعاً عند المساء. ولا يمكن لموراغ ان تذهب خلال الليل. وعلاوة على ذلك، فهي لا تملك وسيلة نقل او مالاً. ولا يمكن لاحد ان يسافر بدون دفع الاجرة».

قالت السيدة بيرشن ذلك وهي تبتسم لغايل مطمئنة. غير انها زادت:

«ربما كان عليك ان تضعي سيارتك في الكاراج بدل ابقائها عند البوابة. فلعلها تملك مفتاحاً يلائمها».

«سأضع السيارة بعيداً عندما انتهي من استعمالها».

عندئذ تجاوزت غايل قصة موراغ وتهديداتها بالهرب لان الفتاة لن تستطيع الابتعاد كثيراً من دون وسيلة نقل او مال على حد قول السيدة بيرشن:

لكن احداً منهم لم يفكر بان موراغ قد تحصل على مساعدة من الخارج... واعلنت السيدة بيرشن بحزن بعد اكتشاف امر فرار الفتاة في الصباح التالي:

«لا بد انها رتبت كل شيء بواسطة الهاتف. واحسب اني سمعت احداً يقفل باب سيارة في الليل. ولما نهضت، لم ار اثراً للضوء. لذلك اظنهم قد فروا بدون ان يديروا المحرك. فالطريق المؤدية الى الساحة الامامية الى الطريق العام شديدة الانحدار».

«سأتصل بزوجي... آه، سينكلاير. كنت ابحث عنك. هلا تفضلت بايصال روبي وشنا الى المدرسة؟».

حانت منه التفاتة عطف نحوها. ثم حول عينيه الى مديرة المنزل التي تم وجهها المتحجر عن غضبها:

«طبعاً يا سيدة مكنيل».

ثم سأل غايل:

«هل هما جاهزان؟».

«انهما في السيارة. واني اشكرك كثيراً، كما آمل الا يزعجك ذلك».

«ان هذا لا يزعجني على الاطلاق. هل يمكنني عمل شيء آخر؟».

«ربما. لكني سابحث الامر لاحقاً».

كان آندرو قد اعطى غابل رقمي هاتف، احدهما للفندق الذي ينزل فيه، والآخر للمصنع حيث يقضي نهاره. وتلقت الجواب نفسه من المكانين. «ليس هناك». لقالت للسيدة بيرشن:

«سأتصل به لاحقاً».

الا ان غابل لم تستطع ان تستريح. فصعدت الى غرفة موراغ لتنقب فيها بدون ان تدري عما تبحث.

وعثرت غابل فوق مسند الكتابة الموضوع بجانب جهاز الهاتف على كتابات خطت بتكاسل اثناء حديث موراغ بالهاتف. فقلبت الصفحة بشرود. واكتشفت كتابات اخرى. . . عنوان هذه المرة. . . فكشرت غابل. انه عنوان في اسكوتلندا. . . واعلمتها السيدة بيرشن:

«انه عنوان عزبة السيد مكنيل في منطقة روس وكروماتري حيث يذهب لصيد الغزلان الحمر».

ازداد تجهم غابل.

«لن تكون هناك».

«بالطبع لن تكون».

ترددت غابل قليلاً وهي تحاول تصور الظروف التي كتب فيها هذا العنوان.

«لقد كانت تتحدث بالهاتف عندما دونت العنوان. . . وهو مكتوب مثل كل الاشياء التي دونتها بشرود. هل يوجد موظفون في مسكن الصيد؟».

«فقط عندما يكون السيد هناك. فهو يوظف زوجين متقدمين في السن يعيشان على مقربة من المكان الذي يعتنيان به اثناء غيابه، وينتقلان اليه في حضوره. فهو لا يزور العزبة الا للصيد، الأمر الذي يحول دون توظيف العمال. ومعروف ان كل عمال العزبة يعيشون في منازلهم. وكذلك وكيلها».

«لا احد هناك. . .».

«كم تبعد عن هذه العزبة يا سيدة بيرشن؟!».

رفعت مديرة المنزل عينيها:

«هل ستزورينها؟!».

«اجل. سأذهب. هناك دافع يحفزني للذهاب».



«لن تذهب الآنسة موراغ الى مثل هذا المكان الموحش. اما من حيث المسافة، فيتعذر قيادة السيارة اليها لبعدها».

«حيثما توجد الطرق، يمكن للانسان ان يقود سيارته».

وبعد محاولة اخرى فاشلة للاتصال بزوجها، قررت ان تنصرف بسرعة. ولم تثنها كل المناقشات والنصائح وحتى تحذير سيكلاير الشديد بخطر هبوب عاصفة وشيكة عن عزمها. فلقنت مديرة المنزل التعليمات الخاصة بالأولاد. كما تلقت وعداً من سيكلاير بالخروج بالصغيرين الى المدرسة ومنها. والاستمرار في محاولات اتصاله بآندرو حتى يبلغه الخبر. ثم انطلقت وقد تلبدت الغيوم في السماء، التي ازدادت اسوداداً وتهديداً مع كل ميل قطعته الى ان بدأ الثلج بالتراكم على زجاج السيارة الأمامي في موعد تناول الشاي، الأمر الذي اضطرها للخروج من وقت الى آخر بقصد تنظيف واجهتها، فابتلت ملابسها والتصقت بجسمها فيما تحركت السيارة ببطء وغشي بصر غابل بسبب دوران قطع الثلج الرقيقة في دائرة النور المنبعثة من اضواء السيارة الأمامية.

لكن قيادة السيارة ازدادت صعوبة. واجبرت غابل على السير ببطء اشد. هل جسرت على التوقف وتأمل الخريطة وهل المسافة الباقية امامها طويلة؟ وهل صور لها خيالها ان الثلج تحول برداً، ام ان ذلك حدث فعلاً؟ اجل. ها هو قد تحول برداً. وانشرح قلب غابل لهذه الحقيقة. فتوقفت واشعلت النور الداخلي لتلقي نظرة على الخريطة. لم تكن المسافة امامها طويلة. . .

وكانت الرحلة طويلة ومضنية. ولما وصلت غابل الى البحيرة، وتطلعت الى النوافذ كانت خيوط الفجر الأولى قد لاحت فوق الجبال. لا اثر للحياة هنا. هل تكلفت عناء الرحلة في مقابل لا شيء؟ وكيف يمكنها الرجوع اذا تحول البرد المتساقط ثلجاً مرة اخرى؟ فلن يعود بالامكان عبور الشوارع ساعتئذ. وعلى سيثير تصرفها الطوعي آندرو؟

توقفت السيارة. وترجلت غابل منها. فلاحظت بروز جهاز تخفيف الصدمات في سيارة اخرى متوقفة عند زاوية المبنى. فاتجهت نحوها لتكتشف سيارة قديمة فيها صدمات كثيرة. وقد وقاها من الثلج وتساقطه غطاء سميك من القماش. وقد وقفت على مقربة منها سيارة اخرى غطاها

الثلج. لكنها اوحت في انها لم تكن في حال افضل من الأولى.

ودارت غايل حول البناية حتى وجدت الباب الخلفي. ولشد ما دهشت اذ انفتح لمجرد لمسها له. فدخلت للمرة الأولى بيتاً اخر يملكه زوجها. يا له من مكان بارد ومهجور! ولكن، عندما فتحت باب غرفة الجلوس، ادركت فوراً ان احداً يسكن فيه. فلمحت رماداً انطفأت ناره قبل قليل في الموقد، وحاكياً وقناني واكواباً واذرعة كراس . . . على الطاولة، واسطوانات موضوعة فوق الكراسي وعلى الأرض. كما لفت السجادة عند احد اطراف الغرفة . . .

«بحق الشيطان، من انت؟».

واشتعل النور بعصبية. فاستدارت غايل وقد خفق قلبها رهبة. وصاحت غاضبة:

«لقد اجفلتني، في حين علي انا ان اسألك من تكونه.

ارتدى الشاب ثوباً فضفاضاً. وبدا كأنه سهر الليل بطوله وتأملت عيناه ملابس غايل المبتلة، قبل ان تستقرا على وجهها.

«اسمي باول. قولي من تكونين، وكيف دخلت الى هنا؟ قال دايف، ان فتاة اخرى ستحضر . . . ولكن، لا. فسنك كبيرة جداً».

«اين هي ابنة زوجي؟».

تلعثم زاعقاً:

«انت . . . انت زو . . . زوجة والد موراغ؟ ولكن، كيف عرفت انها هنا؟ فهي قد اقسمت انها لم تخبر احداً، والا لما حضرنا».

شحب وجهه، فيما انقطع عن الحديث. ثم استأنف اسئلته:

«ووالدها، هل هو هنا ايضاً؟».

«لن يمر وقت طويل قبل ان يصل».

لم يؤنبها ضميرها على كذبتها. لكنها لم ترد على ما قالته، بل عادت تستفسر عن مكان موراغ:

«في السرير . . . اين تحسبينها توجد في هذا الوقت المبكر من الصباح؟ انا نفسي كنت سأغرق في نوم عميق لولا الم رأسي. لقد نزلت الى هنا حتى اشرب. لكني، لن ابقى. فسأخرج من هذا المنزل قبل وصول والد موراغ. ان موراغ في حجرة النوم الواقعة عند اعلى السلم. وهي قد



افسدت علينا الحفلة الليلة الماضية لأنها مريضة. فتوجب على كارول ان تدخلها السرير عند الثالثة. ولم نرها منذ ذلك الوقت . . .».

«لم . . . تروها؟ الم يزرها احد . . . لاخفا؟».

«كنا نحيي حفلة . . . ونسيناها».

«هل نسيتم ان هناك شخصاً مريضاً ينام في السرير؟!».

لم تستطع فهم موقفهم. لكنها لم تضيع مزيداً من الوقت. ودخلت غرفة موراغ بعد ثوان قليلة. فتزايد خوفها لما رأت شفتيها المزرقتين وصدرها الخافق بجهد. فنطقت موراغ بصعوبة:

«انت . . ؟ كيف وصلت الى هنا؟».

وقبل ان تتمكن غايل من الرد استغاثت موراغ:

«جرعة ماء بحق السماء. احضري لي جرعة ماء من فضلك».

ولما خرجت غايل من غرفة النوم، سمعت جلبة وحديثاً في غرفة اخرى تقع في طرف الممر.

« . . . لا اصدقك».

«قالت المرأة انه لن يمر وقت طويل قبل ان يصل. استمتعوا اذا كنتم تريدون البقاء. اما انا فخارج الآن».

لم تسمع غايل اكثر من ذلك لأنها بلغت اسفل السلم عند هذا الحد. وبينما جلست غايل فوق السرير بعد قليل تدني الكوب من شفتي موراغ، سمعت خطوات تتجاوز باب الغرفة، وصوتاً ينادي: «وداعاً يا موراغ».

ثم انطلقت السيارتان بعيداً، فانسحق الثلج المتجمد تحت النافذة بجلبة. وبعد ان ألقت غايل موراغ برفق على السرير ثانية، ابلغتها:

«علي ان اتركك بضع دقائق لاجراء بعض المكالمات الهاتفية. وسأحاول الا احدث اي ضجة».

زود سينكلاير غايل برقم الهاتف الخاص بوكيل آندرو المسمى باركلي واعطاها ايضاً رقم هاتف الطبيب. وحضر الوكيل بعد نصف ساعة من مكالمتها فرأت رجلاً طويلاً متجهم الوجه في عقده الخامس من العمر. وقد اصغى برصانة الى ما قالته غايل. فكان يهز رأسه احياناً اما غضباً واما اشمئزازاً.

«تحتم على السيد مكنيل ان يرتب امراً ما. لكنها لم تحضر اصدقاءها الى

هنا من قبل».

وعلمت غابل فوراً ان السبب هو عدم توافر مال كاف لدى اي من الشبان. وزادت موراغ بالرغم من طلب غابل اليها ان تصمت وتستريح:

«لقد احضروا جميعاً الأطعمة كلها من منازلهم. واغرت بنفسي على مستودعنا المبرد. اما من حيث الأشربة، فوالدي يحتفظ بالكثير منها هنا بسبب حفلات الصيد علماً بأنه لا يشرب كثيراً».

«لا تتكلمي. هل الألم شديد؟».

«للغاية. آمل ان يحضر الطبيب علاجاً معه».

وانقطعت عن الكلام لتتنفس بصعوبة.

«لقد ذهبوا جميعاً بدون ان يحضروا وداعي. كم اتمنى لو اني لم ادعهم. وعندما افكر اني سمحت لهم بالصيد. . .».

«الصيد؟ ماذا اصطادوا؟».

«الغزلان. . . الحقيقة ان الشبان الثلاثة حملوا البندقية لهذا الغرض. لكنهم لم يثبتوا مهارتهم. فقد اصاب دايف غزالة غير انها هربت قبل ان يتمكن من قتلها».

«هل تقصدين. . . انها مصابة و. . . وانها هائمة في هذا الطقس الرديء؟».

«لا بد ان تموت آخر الأمر لأنها لن تحصل على الطعام اذا كانت اصابتها بالغة».

واستطاعت موراغ ان تطلق ضحكة ساخرة من تعبير غابل:

«يا لله كم انت رقيقة. انها مجرد حيوان».

نهضت غابل. وغادرت الغرفة لتلتقي باركلي في القاعة وهو مكب على تفحص بندقية عثر عليها عند المدخل الرئيسي. وابلغته بالنبأ عندما اعلمها ان البندقية استعملت قبل قليل.

«غزال جريح؟ سأستدعي روبرتسون على الفور. انه رئيس صيادي السيد مكنيل هنا».

جلست غابل قرب النار مسترخية. وتأملت ألسنة اللهيب بجسم وعقل مخدرين. ومضت الساعات. فكانت تنحني بين حين وآخر لتلقي من قطع الحطب فوق النار، لما آلمها عيناها لحرمانها من النوم. وكان الفجر قد بدأ



يبزغ عندما اتجهت الى النافذة من جديد لتدفع الستائر المخملية السميكة جانباً. عالم ابيض مخيف. زوجها والصياد في الخارج يحاولان قتل الغزالة المسكينة لتخليصها من شقائها. وقد كانت شقية فعلاً، اذ اعلم روبرتسون انها شوهدت تجر رجلها المصابة وتطلق صيحات مرعبة لشدة جوعها وألمها.

واعادت غابل شد الستائر الى بعضها. ثم رجعت الى مقعدها قرب النار وهي غارقة في تفكير عميق حتى لا يغمض لها جفن.

لقد وقعت احداث كثيرة في وقت قصير بدءاً من الرحلة المرهقة للاعصاب في سيارة الاسعاف التي ترحلقت فوق الزقاق الضيق المتعرج والنحرفت بين جنباته، ثم ارتياح غابل لدى بلوغهم الطريق العام حيث اسرعت السيارة بعض الشيء.

الا ان كل ذلك ذهب سدى اذ ماتت موراغ بعد عشرين دقيقة من دخولها المستشفى. واقترب الطبيب من غابل في غرفة الانتظار الباردة والمعتمة. . . وعاشت كابوساً اثناء رحلة العودة الى المنزل. . . وانتابها الحزن والتعب. ولن تنسى غابل هذه الليلة ما عاشت. واعلمت فور عودتها ان آندرو وصل قبل دقائق وقرر الخروج مع روبرتسون للبحث عن الغزالة، اذ اعلمه باركلي بوفاة موراغ، فأدرك ان زيارته للمستشفى لن تجديه نفعاً.

وقضى الرجلان الليل بطوله في الخارج. وتحول البرد ثلجاً من جديد كما توقعت غابل. لكن الثلج توقف عن السقوط بعد عودة غابل من المستشفى، وانار السماء الصافية قمر صغير. ومعروف ان مثل هذا الطقس ينذر بحدوث جليد قاس. لذلك ارتجفت غابل خوفاً وبرداً كلما ابتعدت عن النار قاصدة النافذة. آندرو في الخارج يطارد الغزالة زحفاً على بطنه بقصد الاقتراب منها اكثر فاكثر حتى يتمكن من اصابة رأسها او عنقها.

كم سيمضيان في الخارج؟ انهما لن يعودا إلا إذا أهلكا الغزالة التعسة. ولن تقبل غابل الا بذلك. . . لكن خوفها على آندرو عظيم وعظيم جداً الى حد انه آلمها. وليس من الجائز ان يصاب بالتهاب في رئتيه؟ او بمرض اخطر من ذلك؟

ووقفت ثانية وهي تفرك يديها. ثم ارتمت على كرسيها بعد دقيقة.

تحرك شخص في المطبخ. لقد بدأت السيدة ايرفن وزوجها بالعمل لاشعال النيران وتسخين المرجل واعداد الفطور.

السيد والسيدة ايرفن هما الزوجان اللذان وظفهما اندرو لرعاية شؤون منزله. ولما عادت غايل من المستشفى وجدتهما في المنزل اذ ارسل باركلي في اثرهما. وكانا قد رتبا غرفة الجلوس، واشعلا فيها النار. وتغير شكل الغرفة كلياً اثناء غياب موراغ، واضرمت النيران في غرف النوم. واعلنت المرأة بكل القسوة التي ورثتها عن اجدادها الاسكتولنديين؟

«اذهبي الى سريرك. فأنت شاحبة. لقد سمعت انك قدت السيارة خلال الليل. ثم قضيت ساعات طوالاً مع موراغ تنتظرين سيارة الاسعاف».

وتفحصت السيدة ايرفن غايل طويلاً واضافت:

«نظفت الفراش وعرضته للهواء. واضرمت ناراً في مدفأة الحجرة. واني ذاهبة لترتيب السرير حتى ادعوك حين انتهي من ذلك».

«سأنتظر عودة زوجي....».

صاحت السيدة ايرفن بعناد:

«لماذا تنتظرينه؟ فأنا واثقة انه لن يعود الليلة».

«لن انام وهو في الخارج. فأنا... انا اريد انتظاره حتى ارى اذا كان بخير».

«بخير؟ طبعاً انه بخير. اما انت، فاصعدي عندما اناديك، وكفي عن هذا الهراء».

لم ترغب غايل بمزيد من المناقشة. فاسرعت بارتقاء السلم متظاهرة بالخضوع لرغبة السيدة العجوز الى ان غادرت غرفتها. ولما سمعت غايل الزوجين يأويان الى فراشهما بعد نصف ساعة، انسلت الى غرفة الجلوس حيث كانت تجلس.

وامكنها سماع خطوات السيدة ايرفن وهي تجتاز الممر وتفتح باب القاعة وهي تحمل بيدها سطلاً ومسحة. فحملقت في غايل المرتدية ملابسها الكاملة والجالسة قرب نار شبه هامدة قبل ان تصرخ:

«ماذا...؟ سيدة مكنيل! انك لم تذهبي الى السرير».



«بكل اسف، كلا. فأنا لن اذوق طعم النوم ما دام زوجي في خطر. آه يا سيدة ايرفن، ماذا يمكن ان يكون قد حدث لهما؟ هل تظنين انهما وقعا في البحيرة؟».

«سقطا...؟ ما الذي يدفعهما للوقوع في البحيرة؟».

«اذا كانت البحيرة مغطاة بالثلج والجليد، فهما لن يرياها...».

سكتت لتتفحص ما حولها اذ خيل لها انها رأت شبحاً. ووقف آندرو في الباب عابساً وقد ابتلت ملابسه حتى جلده واتسخت بالوحل، كما علقت بها وبشعره نباتات خضراء كريهة الرائحة. وتقدمت منه غايل بخطوات متعثرة وقد علت الزرقة جرحها فيما امتقع لون جلدها:

«آندرو... انك بخير! اجل، انك بخير».

وتداعت رجلاها. الا ان اندرو امسك بها قبل ان تهوي.

«يا حبيبتي....».

واسندها برفق على الاريكة فيما ابتسمت له ابتسامة ضعيفة.

«انك بخير يا حبيبتي. فلماذا لم تأوي الى الفراش؟».

تثاقلت جفونها. فاغمضتها. وحاولت النطق. لكن اعصابها خانتها، فاكتفت بهز رأسها بوهن. وهنا اخبرته السيدة ايرفن بما حدث:

«طمأنتها انك بخير يا سيدي. وطلبت اليها ان تأوي الى الفراش... فهي لم تدخل السرير لليلتين متتاليتين. لكنها صممت الا تنام ما دمت بقيت انت في الخارج... وبدا انها شعرت انك في بعض الخطر».

وتنهدت غايل بعد ان القاها زوجها فوق المساند:

«آندرو... دعو... دعوتني...».

تحول آندرو نحو السيدة التي استعدت لمغادرتها:

«سيدة ايرفن، هل السرير جاهز؟».

«سادفئه ثانية يا سيدي واشعل النار».

«اشكرك. اسرعي قدر الامكان. فأنا لا اريد ان تنام السيدة مكنيل هنا».

«لا اريد العودة الى غرفة النوم».

وحاولت غايل النهوض، الا انها منعت. ولما اغلق الباب خلف السيدة ايرفن، قالت بثبات:

«لن اذهب».
فكشر اندرو:
«لن تذهبي؟ لماذا؟».
«انت قلت لي يا حبيبتي...».
فابتسم مستغرباً:
«هل هذا مبرر لعدم ذهابك الى السرير؟».
احمرت خجلاً وقد فطنت لحماقتها فيما واصل آندرو تحديقه اليها بمرح ساخر. وتمكنت في نهاية المطاف من القول:
«انك مبتل. وعليك ان تستحم وتغير ملابسك».
واغمضت جفونها بدون ان تقوى على الاستيقاظ. فصرخ بها:
«غابل، لا تنامي هنا».
غير ان النوم غلبها. فتركها زوجها على الاريكة بعد ان دثرها ببساط وشد الستائر الى بعضها بحيث غرقت الغرفة في ظلمة شبه كاملة لولا وهج النار المتأججة في الموقد.
استيقظت غابل وقد انتعشت قليلاً بالرغم من تعبها. ولم تنطفىء النار لأن احدهم اهتم باضرامها. لكن مصدر الدفء الذي احاط بغابل كان مختلفاً. ان آندرو يحبها... وبرزت السيدة ايرفن بعينيها الخادتين الباحثتين من وسط القاعة الساكنة:
«واخيراً استيقظت يا سيدة مكنيل. هل تشعرين بتحسن بعد ان نمت؟».
«زوجي... هل هو بخير؟».
«هل هو بخير؟ طبعاً انه بخير. لقد نام مثلك. لكنه استيقظ. وقد سمعته منذ بضع دقائق يتنحنح. والآن، هل ترغبين بفنجان شاي ساخن؟».
«بعد قليل. فأنا اريد ان استحم اولاً».
وضعت غابل بعض الملابس الداخلية وثياب النوم في حقيبة صغيرة. غير ان السيدة بيرشن اصرت على ادخال ثوبين في الحقيبة. وقد امتنت غابل لما صنعها خصوصاً بعد ارتدائها ثوبها هذا ما يزيد على ثمان واربعين ساعة.



وطرحت السيدة ايرفن قطعة حطب كبيرة في النار. ثم استدارت نحو غابل قائلة:
«اذهبي واستحمي الآن فيما اعد لكما ابريقاً من الشاي. صحيح اني اطهي العشاء، لكنكما لن ترغبا به الآن وقد نهضتما من النوم مباشرة».
سألتها غابل بفضول:
«كم الساعة الآن؟».
«قرابة السابعة. لقد نمت انت والسيد طوال النهار».
ولما نزلت غابل نشيطة بعد ان استحمت وبدلت ملابسها، وقف اندرو وهو يدير ظهره للنار ويرتدي ثوباً فضفاضاً، وقد بدا في تمام العافية نظيفاً هادئاً لا اثر عليه من جهاده في الليلة الماضية عبر الاراضي المكسوة بالجليد. الا ان فكره مشغول بمأساة موراغ التي لم تغب عن ذهنه في الواقع. غير ان غابل بادرت الى الحديث بحزن واسى عميقين:
«موراغ... لم يكن بوسعي ان اعمل اكثر مما عملت يا آندرو. فقد تأخرت بالوصول. ولم تستطع سيارة الاسعاف التي حضرت الى هنا متأخرة ان تسرع، الا عندما خلفنا الطريق الضيق ودخلنا الطريق العام. فليرحمها الله يا آندرو».
ولف الصمت الغرفة الى ان تكلم آندرو بلهجة جامدة مخالفة للهجة غابل:
«اعرف انك فعلت كل ما في وسعك يا عزيزتي. واني اشكرك».
والتقت عيناه بعينيها. فلمحت فيها اشراقة حب وحنو مفاجئين.
«كنت رائعة. وقد سمعت القصة بكاملها من سيكلابر وباركلي والسيدة ايرفن».
وسكتت ثانية فيما خفضت رأسها لتخفي وجهها المحمر نتيجة ثنائه. ثم استأنف حديثه باللهجة الخالية من العاطفة عينها:
«يجب انجاز بعض الأمور المتعلقة بموراغ. وبعد الانتهاء منها، علينا الا نعود الى الحديث عنها ابداً. هل تفهمين يا غابل؟ لا اريد ذكر اسمها مرة اخرى».
بلعت ريقها، وعلت وجهها مسحة معبرة عن الألم. الا انها اطرقت وقالت بصوت لا يكاد يسمع:

«اجل. لقد فهمت يا آندرو».

«احسبك فهمت. بل انت تفهمين كل شيء».

ارجعت رأسها الى الوراء فيما بدا واثقاً تمام الثقة ان موراغ ليست ابنته. واتضح انه اقتنع بأن غايل عرفت الحقيقة.

ورفع كل منهما عينيه عندما دخلت السيدة ايرفن وهي تحمل صينية الشاي لتضعها على طاولة قرب النار. ثم سألت:

«هل تريدان الطعام الآن يا سيدي؟ فانا اطهي العشاء في الفرن».

«الارجح اننا سنتعشى فيما بعد».

والتفت الى غايل:

«هل انت جائعة الآن؟».

هزت رأسها نفياً:

«لا استطيع تناول شيء الآن».

ولما ذهبت السيدة ايرفن وبدأ بتناول الشاي، تكلم آندرو الى غايل بمودة اعظم من اي وقت مضى. لقد اخذ يشك بأن موراغ ليست ابنته منذ وقت مبكر. لكنه حاول ان يتناسى الأمر ويمنحها محبة الأب وعنايته عندما تركها وحدها. اما من ناحية زوجته، فصحيح انه استردها، لكنه لم يقدر ان يصفح عنها.

«هل رغبت ببداية جديدة كلياً؟».

استرجعت غايل قول شقيقتها ان آندرو رجل طيب، وانه يعتبر الزواج رابطة ابدية. غير ان آندرو هز رأسه ببعض الحزن.

«حاولت يا غايل. لكن، كان من المستحيل ان انسى. ولكي يتمكن الانسان ان يصفح عليه ان ينسى ما قاساه. ونشأة موراغ وشخصيتها لم يساعداني على النسيان، بل جعلاني لأؤمن انها مشكلتي مدى الحياة».

وبعد صمت قصير قال بشيء من الارتباك:

«يا حبيبتي».

«لقد اخبرتني كل شيء. والآن اصبح من واجبي ان اطلعك على بعض الأمور».

ضغطت يديها على بعضها باحكام وكأن تصرف آندرو اعطاها القوة والشجاعة لتستمر بالحديث وتطلعه على قصة مايكل والحادث والجراح.



واخبرته ان مايكل قد تسبب بالحادث عن طريق افراطه في الشرب. ولم تعلن الأمر الأهم والأصعب الا عند نهاية الحديث.

«ان السبب الحقيقي لفسخه خطوبتنا هو... هو اصابتي بجروح داخلية...».

واعقبت حديثها فترة صمت شديد استدارت خلالها غايل لتواجه زوجها بعينيها الجميلتين الواسعتين وقد اشرق فيهما الخوف.

«آندرو، هل تؤثر عدم قدرتنا على انجاب اولاد آخرين عليك في شيء؟».

ثم اخبرته بعزمها على دخول المستشفى لمعالجة الجراح. فاعترض:

«لا يمكنني تحمل بعادك يا حبيبتي. ومن جهة الأولاد، فنحن عندنا منهم ما يكفينا».

فقاطعته:

«شكراً يا حبيبي. لكني لن اغيب طويلاً يا آندرو. فانا لا اريد ان ابعد عنك وعن الأولاد. ولكن سعادتي تعظم بازالة الجرح».

«فليكن ما تريدين يا حبيبتي. واعلمي اني امقت كل لحظة تغيبين فيها عني».

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 89

# جرح الغزالة

المرارة واليأس غلفا حياة غابل بعد تعرضها لحادث سيارة ادى الى اصابتها بجروح بارزة وعقم دائم، مما جعل خطيبها يفسخ الخطوبة، ويقلل من فرصتها في الزواج والاستقرار وانشاء عائلة.

ويلتقي غابل باللورد الاسكتلندي الأرمل اندرو، الحاقد على النساء نتيجة خيانة زوجته... اندرو يبحث عن مربية لطفليه الصغيرين وابنته المراهقة، فتغتنم غابل هذه الفرصة. لكنه يفاجئها بطلبه عقد زواج اداري.

ويأتي قبولها اشباعاً لغريزة الأمومة لديها، لا انجذاباً نحوه.

لكن اندرو يجعل مهمتها صعبة، فحضوره قوي وشراسته لا تطاق، وغابل الغزالة الباكية تدور في القصر فقط لتلبية رغباته. عزاؤها كان حب الصغيرين لها، لكنها جنت ووقعت في هوى صيادها، فهل يطلق عليها طلقة الرحمة ويحبها؟